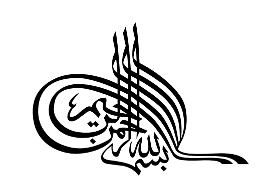
الشـيخـوخـة
وكيفيـة تعامل الإسلام مع متغيراتها

تـــأليـــف

د. عبد الله بن ناصر السدحان

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

أبيض


بسم الله الرحمن الرحيم

أبيض

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

يلحظ كل مطلع التزايد المستمر في عدد السكان على مستوى العالم، ومن ذلك تزايد أعداد كبار السن، ويرجع ذلك تقدير الله عز وجل إلى التطور الصحي الذي يشهده العالم بشكل عام مع تفاوت نسبيّ في هذا الأمر بين البلدان المتقدمة اقتصاديا والبلدان المتخلفة. فالرعاية الصحية المتقدمة تؤدي إلى تناقص الوفيات، وبخاصة بين الأطفال وهذا عمل بشكل مباشر على تحقيق هذه الزيادة السكانية في جميع الشرائح العمرية المختلفة من الهرم السكاني للعالم بشكل عام ولبعض الدول بشكل خاص. وفئة المسنيّن ممن شملها التزايد المطرد في العدد وبشكل جلي، فتظهر مؤشرات الإحصاءات السكانية اختلال شكل الهرم السكاني في بعض الدول، وذلك بتضخم قمة الهرم السكاني ووسطه سنة بعد أخرى، وقد وصل الأمر في بعض الدول الغربية إلى درجة الاعتقاد بانقلاب الهرم السكاني ويعود ذلك بعد تقدير الله عز وجل إلى:

- تزايد عدد كبار السن وقلة المواليد.
- ارتفاع معدل توقع الحياة (العمر).

- تطور الخدمات الصحية المقدمة إلى كبار السن.

ونتيجة طبيعية لهذه الأمور الثلاثة نشأت الحاجة إلى الاهتمام بفئة المسنّين، وهذا الاهتمام يكثر في الدول الغربية أكثر منه في دول العالم الثالث، ويعود هذا كما ذكر آنفا إلى تزايد أعداد المسنّين في المجتمعات الغربية أكثر من غيرها من دول العالم، فعلى سبيل المثال يوضح الجدول الآتي النسب المئوية للسكان الذين تجاوزوا الستين من العمر خلال أربعة عقود على النحو الآتي: [1]

	نسبة المسنّين إلى مجموع السكان			
العام المنطقة	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٤١٠هـ ١٩٩٠م	١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م
العالم	٨.٤٪	٨.٩٪	٨.٩٪	٩.٣٪
أوروبا	١٦.٧٪	١٦.٧٪	١٧.٨٪	١٨.٥٪
أمريكا الشمالية	١٣.٨٪	١٤.٩٪	١٥.٢٪	١٥.٤٪
شرق آسيا	٨.٥٪	٩.١٪	١٠.٢٪	١١.٢٪

(١) الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين، علي فؤاد، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون، ١٤١٢هـ. ص ١٨٢.

وحسب تقارير الأمم المتحدة فان التركيبة السكانية للعالم سيطغى عليها كبار السن، ويتوقع في الخمسين سنة القادمة أن يزداد عدد كبار السن نحو أربعة أضعاف فبحلول عام ١٤٧٠هـ / ٢٠٥٠م سيكون هناك واحد من كبار السن بين كل خمسة أشخاص بينما ستنخفض نسبة الأطفال من (٣٣٪) إلى (٢٠٪)، وبحلول عام ١٥٧٠هـ/ ٢١٥٠م من المتوقع أن يبلغ ثلث سكان العالم من كانت أعمارهم ستين سنة من العمر أو أكثر، وفي بعض البلدان المتقدمة انخفضت معدلات المواليد دون مستويات الإحلال، ومن ثم أصبح عدد الأشخاص الأكبر سنا يفوق الآن عدد الأطفال.

وهذا الارتفاع في النسبة يعني هبوط نسبة الأفراد المنتجين في المجتمع، إضافة إلى ما يتطلبه الأمر من توفير خدمات أكبر في المجالات الصحية والاجتماعية، كما أن زيادة إعداد المعمرين وما يصاحبه من هبوط في نسبة الأطفال وخصوصاً في الأقطار المتقدمة يؤدي إلى ارتفاع نسبة السأم والقلق والاختلالات النفسية للمعمرين بسبب إحساسهم بالوحدة والوحشة. وهكذا نجد أن العمر الطويل الذي كان يُعدُ حتى أوائل القرن الحاضر نعمة كبرى صار يشكل تحدياً للمسيرة البشرية عموماً.

وتُعْدُ الشريحة الأسرع نموا بين المسنين هي شريحة

الأشخاص الأكثر تقدما في السن، أي في سن الثمانين وما فوق، ويبلغ عددهم الآن ٧٠ مليونا. ومما يلفت الانتباه أن المسنات على مستوى العالم يفقن المسنين عددا، وعلى نحو متزايد في المراحل المتقدمة من السن، ويُقدر اليوم أن هناك (٨١) رجلا مقابل كل (١٠٠) امرأة فوق سن الستين، وتنخفض هذه النسبة أكثر عند سن الثمانين وما فوق لتصل إلى (٥٣) رجلا مقابل كل (١٠٠) امرأة. وسيترك هذا التحول الديمغرافي العالمي آثارا عميقة على كل جانب من جوانب حياة الأفراد والمجتمعات المحلية والحياة على الصعيدين الوطني والدولي، كما سيتطور كل وجه من وجوه البشرية: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والنفسية والروحية.[1]

كما يظهر الجدول الآتي مؤشر آخر للشكل الديموغرافي للسكان في دول الخليج العربي وذلك من خلال التطورات العمرية للسكان في الدول عبر عدد من المتغيرات والمؤشرات على النحو الآتي [2]:

---

(١) تقرير الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة مدريد، ٨- ١٢ نيسان/أبريل ٢٠٠٢، الأمم المتحدة، نيويورك، بدون تاريخ، ص ٨.

(٢) تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٦م، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، ٢٠٠٦م/١٤٢٦هـ، ص ٢٩٧.

الدولة	إجمالي السكان بالملايـــين		نسبة السكان دون ١٥ سنة		نسبة الذين أعمارهم ٦٥ سنة وأكثر	
	١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م	١٤٣٥هـ ٢٠١٥م	١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م	١٤٣٥هـ ٢٠١٥م	١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م	١٤٣٥هـ ٢٠١٥م
المملكة العربية السعودية	٢٤	٣٠.٤	٣٧.٨٪	٣٢.٣٪	٢.٩٪	٣.٥٪
الإمارات العربية المتحدة	٤.٣	٥.٦	٢٢.٤٪	١٩.٨٪	١.١٪	١.٤٪
دولة الكويت	٢.٦	٣.٤	٢٤.٥٪	٢٣.٢٪	١.٧٪	٣.١٪
مملكة البحرين	٠.٧	٠.٩	٢٧.٥٪	٢١.٧٪	٣٪	٤.٤٪
قطر	٠.٨	١	٢٢.٢٪	٢١.٨٪	١.٣٪	٢٪
سلطنة عمان	٢.٥	٣.٢	٣٤.٩٪	٣٠.٦٪	٢.٥٪	٣.٤٪
جميع دول الخليج العربي	٣٤.٩	٤٤.٥	٢٨.٢٪	٢٤.٩٪	٢.١٪	٣٪
العالم	٦.٣٨٩	٧.٢١٩	٢٨.٥٪	٢٥.٩٪	٧.٣٪	٨.٤٪

ووفق تقديرات علم السكان فسيكون هناك تناقص في عدد السكان الذين تقل أعمارهم عن الخامسة عشرة على مستوى دول الخليج بشكل عام خلال السنوات العشر القادمة وإن كان هناك تفاوت بين الدول ذاتها، ويقابل ذلك بطبيعة الحال تزايد في إعداد كبار السن بين المجتمعات الخليجية بشكل عام، وهذه مؤشرات إلى احتمال طول عمر السكان مما يُحتم ضرورة الاستعداد لهذا الطول في العمر والاستعانة بوسائل عملية للتعايش معه.

ومن كل ذلك يمكن القول: إن هناك تزايداً عاماً في عدد المسنّين في المجتمعات بشكل عام وإن كانت أظهر في العالم الغربي ولهذا يرى بعض المختصين أن هذه المؤشرات التصاعدية سبب في ظهور تخصص علمي يُعنى بما يسمى (علم الشيخوخة) [1]، وذلك إثر إنشاء مؤسسات لذلك العلم في عدد من الدول الغربية، وعقد أول مؤتمر دولي عن الشيخوخة في بلجيكا والذي كان من أثره تأسيس الجمعية الدولية للشيخوخة، حيث تعقد مؤتمرات دولية حول

(١) الشيخوخة، عزت إسماعيل، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الشيخوخة كل ثلاث سنوات. ثم تخصيص عام (١٩٨٢ م/ ١٤٠٢هـ) سنة دولية للمُسنِّين بدعوة من الجمعية العامة للأمم المتحدة لتركيز الجهد من أجل بحث قضايا المسنِّين ومناقشتها، ومعالجة مشكلاتهم، وزيادة الاهتمام برعايتهم.

وفي شهر يوليو من عام (١٩٩٦م/ ١٤١٦هـ) نظّمت منظمة الصحة العالمية للمسنين اجتماعا دوليا في البرازيل، لوضع برنامج عمل عن الشيخوخة، وقد حضر هذا الاجتماع ممثلون عن إحدى وعشرين دولة، بالإضافة إلى عدد كبير من الخبراء والمختصين و انتهوا إلى إقرار ما يسمى (إعلان برازيليا عن الشيخوخة). وبعد ذلك قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتكرار تجربة تخصيص عامٍ للمسنين وحددته بعام (١٩٩٩م/ ١٤١٩هـ) تحت شعار (**نحو مجتمع لكل الأعمار**)، وتضمَّن مفهوم هذا الشعار أربعة أبعاد: التنمية طوال حياة الفرد؛ والعلاقات بين الأجيال المتعددة؛ والترابط بين شيخوخة السكان والتنمية؛ وحال كبار السن.

كما قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة في عام ٢٠٠٢ في أسبانيا، وتُعقد الجمعية العامة الثانية للشيخوخة لمساعدة الحكومات

والمجتمعات على تخطيط السياسات التي ستضمن إمكان أن يواصل الأشخاص من كبار السن الإسهام في المجتمع بطريقة يُعتد بها وبأفضل ما يستطيعون من إمكانات.

وهذه الاهتمامات في الجوانب العلمية والبحثية صاحبها جهود أخرى في المجال العملي للمسنين ومن ذلك زيادة دور رعاية المسنّين ومراكز رعايتهم في الدول الغربية بشكل ملفت، و بدأت قضايا سوء معاملة المسنين، تأخذ فصولاً عديدة في القانون الأمريكي، حيث أصبحت قضاياهم تمثل نسبة مرتفعة من الدعاوى في المحاكم الجزائية، فمع بداية عام ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ قامت عدة ولايات أمريكية بسنِّ القوانين التي تتعلق بسوء معاملة المسنِّين واعتبرت المسيء إلى المسنِّين بالضرب أو منع الطعام بمثابة المخل بالقانون [1]، وهذا أدى بدوره إلى تزايد ظاهرة إنشاء مساكن للمسنِّين في الدول الغربية لإنقاذهم من الإهمال الذي قد يجدونه من أسرهم.

وعلى الرغم من ذلك التزايد العددي لكبار السن، إلا أن هذه المرحلة العمرية لم تلق حقها من الدراسة والأبحاث

---

(١) الشيخوخة، فادي غندور، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م.

العلمية، فغالباً ما تتركز الدراسات على مرحلة الطفولة أو فترة المراهقة متناسين هذه المرحلة العمرية بما تحمله من تغيرات وتحولات لا تقل من حيث الأهمية عن مرحلة الطفولة أو مرحلة المراهقة في حياة الإنسان، ومما يحسن الإشارة إليه أن هذا الضعف العلمي لمرحلة الشيخوخة يكثر في العالم الإسلامي والعربي بشكل أوضح، وإلا فإن الاهتمام بالشيخوخة وأبحاثها وحقوق كبار السن على المجتمع قد بدأ الحديث عنها والتركيز عليها في الأربعينات الميلادية في العالم الغربي (أوربا وأمريكا) وذلك بإنشاء جمعية الشيوخ في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٥م/ ١٣٦٥هـ، وصدر عنها مجلة تعنى بأمور الشيخوخة، ثمّ تبعتها في الاهتمام بالمسنين أوربا وذلك بإصدار أول مجلة دورية في أوربا تعنى بالشيخوخة عام ١٩٥٦م/ ١٣٧٦هـ[١].

وإن كان الضعف في الاهتمام بقضايا المسنّين بشكل عام في دول العالم الثالث، إلا أن من المبشرات الإيجابية في الدول الإسلامية ذلك التجاوب النسبي مع قضايا كبار السن

---

(١) اضطرابات الشيخوخة وعلاجها، عبد الرحمن عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م/١٤٠٩هـ، ص١٠.

وهمومهم. ومن ذلك عقد الندوات العلمية عن كبار السن، وتنظيم الحلقات والدورات التدريبية، إضافة إلى إجراء دراسة شاملة عن واقع المسنين في بعض الدول.

وغني عن القول أن أي ندوة عن المسنّين حينما تنعقد في عام معين فلا يعني ذلك أن العناية بالمسنين مرتبطة بهذه السنة فحسب، فهذا التصور مما يبعُد عن خاطر الإنسان المسلم في هذه الدول فلقد حثنا ديننا الحنيف على توقير كبير السن دوماً وأبداً، كما أكد على احترام المسنّ لسنه وشيبته حتى وإن كان غير مسلم فوصايا الرسول صلى الله عليه وسلم حين بعثه الجيوش في أثناء الفتوحات الإسلامية وتعاملها الراقي مع كبار السن غير المسلمين خير دليل على احترام الإنسان الكبير في الإسلام لإنسانيته أولاً، ثُمَّ لسنّه. وفي اعتقادي أن مثل هذه الفعاليات إنما هي عرض عملي للجهود التي تقدم لكبار السن، وتوضيح لجميع دول العالم عما لدينا كشعوب مسلمة من قيم إسلامية وأخلاقية رائعة نتعامل بها مع كبار السن طوال العمر وليس في سنة محددة.

ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن ما يقدم لكبار السن في الدول الإسلامية يرتكز أساساً على عقيدة إسلامية متينة وعادات أصيلة تحث على احترام الكبير، وتوقيره، وتقديمه في

جوانب شتى من جوانب الحياة المختلفة، وهذا التأكيد النظري من الإسلام لأتباعه على العناية بكبار السن صاحبه خطوات عملية لجعل المسنّ المسلم يتعايش مع مرحلة الشيخوخة ويتكيف في خطوات عملية واضحة ومحددة.

وبداية نجد أن الإسلام يقر التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة مما تناوله علماء الاجتماع، والنفس، والطب بالتفصيل، وهذا ظاهر في قوله تعالى: (**اللهُ الَّذي خَلَقَكُم مِن ضَعفٍ ثمَّ جَعَلَ مِن بَعد ضَعفٍ قُوَّةً ثمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ قُوَّةٍ ضَعفاً وَشَيبَةً يَخلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ**) (الروم ٥٤). ولكنه في الوقت نفسه رّتب بعض الأمور والخطوات العملية التي يمارسها المسلم وتعين على اجتياز هذه المرحلة بسلام، وإن كانت لن تخلو من العنت والصعوبة، ولكنه مرور بأقل درجة من العنت وعبور بسهله الله عز وجل لمن شاء من عباده.

وسأحاول مجتهدا في هذه الدراسة طرح الوسائل التي حث عليها الإسلام لتعين الإنسان المسلم على التعايش والتكيف مع مرحلة الشيخوخة إذا وصل إليها في رحلة العيش في هذه الحياة الدنيا، وهي محاولة لتحقيق التكامل في الطرح حين تناول قضايا كبار السن في المجتمع، وبخاصة أن الدراسات التي أجريت في عدد من مناطق العالم أثبتت أن الأفراد في السنين الأولى المشرفة

على الشيخوخة إذا كانوا مستعدين لمرحلة الشيخوخة يمكنهم أن يظلوا إلى سنين مديدة (من المسنين الشباب) ومواطنين نشطين منتجين وهذا بالضبط ما أدركته الأقطار المتقدمة وخططت له مما منحها نتائج جيدة في هذا المجال، إلا أن مما يُلحظ حين الحديث عند قضايا مرحلة الشيخوخة واحتياجاتها التركيز على الجوانب: الاجتماعية، والنفسية، والصحية، والغذائية، والاقتصادية، وكل هذه الاحتياجات مهمة، إلا أنه مما يحسن التركيز عليه الاحتياجات الدينية لهذه الفئة، ((فمما لا شك أن تكثيف جرعات البرامج الدينية للمسنين، وقيام مختلف الخدمات وبرامج الرعاية على أساس ديني من شأنه أن يؤتي نتائج تختلف إيجاباً عن تلك البرامج والخدمات التي لا تتخذ من الدين أساساً لها، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى بعدين أساسيين: الأول، الظروف النفسية للمسنين، حيث يتأثرون بأي برنامج قائم على أساس ديني. والثاني، إقبال الأفراد والهيئات والمؤسسات المختلفة في المجتمع على تدعيم برامج برعاية المسنين، خاصة التي تنظم في مناسبات دينية . كما لوحظ أن برامج رعاية المسنين التي تعتمد على المدخل الديني تحقق هدفاً مزدوجاً، حيث يشعر المسنون بقيمتهم في المجتمع، وتتبدل لديهم مشاعر الاغتراب والاكتئاب النفسي عندما يشعرون أن المجتمع

بأفراده وهيئاته ومؤسساته يوليهم اهتماماً خاصاً، كما أن فائدة هذه البرامج تنعكس على المشاركين فيها، حيث يشعرون بالرضا، لما يلمسونه من آثار إيجابية لهذه البرامج على المسنين. كما أن الجرعات الدينية المكثفة للمسنين تعطي الأمثل في الحياة في نفوس المسنين فتجعلهم أكثر حرصاً على الحياة والمشاركة فيها والتزود بالأعمال الصالحة في فترة نهاية العمر))[1].

وإضافة إلى ذلك يمكن القول أن من أسباب ضرورة الاعتماد على المدخل الديني في التعامل مع موضوع المسنين اعتبارين مهمين هما:

الأول: أن الاهتمامات الدينية تزيد عند الإنسان حين إقباله على مرحلة الشيخوخة وتقدمه في سلم العمر، فمن الملاحظ زيادة الإقبال على العمل الأخروي لدى كبار السن لشعورهم باقتراب الرحيل وحرصهم على الاستعداد لما بعد الحياة الدنيا، ويصاحب ذلك الشعور بالتفريط في الأيام الخوالي من شباب العمر.

(١) التخطيط الاجتماعي لرصد وتلبية احتياجات كبار السن: مبادئ وموجهات، يحي الحداد، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج، البحرين، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ، ص ٤٨.

والثاني: أن المجتمع في الدول العربية والإسلامية بعمومه يدين بالإسلام ولا يمكن تناول أيّ من القضايا الخاصة بذلك المجتمع دون ربطها بعقيدته التي يدين بها،ولا يمكن تجاهل أثر العقيدة الفعال في علاج كثير من مشكلات المسنّين الناتجة من التقدم في العمر سواء النفسية منها، أم الاجتماعية، أم الاقتصادية، أم الصحية،كما سنرى في هذه الدراسة.

وستكون محاور الدراسة على النحو التالي:

أولاً : تعريف بمرحلة الشيخوخة.

ثانيـــاً: التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة.

ثالثـــاً: مقدمات أساسية لفهم مرحلة الشيخوخة في الإسلام.

رابعــاً: وسائل الإسلام لتحقيق التعايش والتكيف مع التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة.

خامساً: كيفية تفعيل هذه الوسائل التي تحقق التعايش والتكيف مع التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة.

والله أسال الإعانة والتوفيق والسداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وأن يجعل هذه الدراسة من العلم الذي ينتفع المسلمون عموما، والشباب بخاصة لكي يهيئوا أنفسهم للعيش في مرحلة الضعف الثانية من حياتهم الدنيوية بتوافق نفسي، واجتماعي، واقتصادي جيد،

ويجعله يستقبل هذه المرحلة بنظرة مشرقة متفائلة.

واختم قولي بالكلمة المشهورة للعماد الأصفهاني التي يقول فيها: إني رأيت أنه لا يكتب إنسانا كتابا في يومه إلا قال في غده لو غُير هذا لكان أحسن .. ولو زيد كذا لكان يُستحسن.. ولو قُدم هذا لكان أفضل .. ولو تُرك هذا لكان أجمل .. وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر. وما أجمل قول الشاعر:

ما خطّ كف امرئ شيئا وراجعه   إلا وعنَّ لـه تبـديـل ما فيه
وقـال ذاك أولـى وذاك كـذا   وإن يكن هكذا تسمو معانيه

أخي القارئ لقد بذلت في هذا البحث أقصى الجهد نظرا لجدةّ الموضوع، فأرجو من الله وحده المثوبة عليه، وأن يرزقني الإخلاص فيما قدمته، وأن ينفع بما دونته، وأن يكتبه من العلم الذي ينفع الإنسان بعد مماته إذا انقطع عمله في الحياة الدنيا وصلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلـف

د. عبد الله بن ناصر السدحان

ص.ب ٧٣٥١ الرياض ١١٤٦٢

أولا: التعريف بمرحلة الشيخوخة

قسم العلماء مراحل العمر في حياة الإنسان إلى أربع مراحل هي: سن الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة[1]. وتطلق العرب على من وصل إلى مرحلة الشيخوخة أسماء عدة فتقول: شيخ، وهو من استبانت فيه السَّنُّ وظهر عليه الشيب، وبعضهم يطلقها على من جاوز الخمسين، وقد تقول (هَرِم)، وهو أقصى الكبر وتقول كذلك: (كهل)، و (مُسن) وجميع هذه الألفاظ تدل على كبر السن [2]. إلا أن مرحلة الشيخوخة عند علماء اللغة تأتي بعد مرحلة الكهولة مع اختلاف بينهم في تحديدها بسن معين، فقال بعضهم: إن مرحلة الشيخوخة تبدأ بعد سن خمس وسبعين، وقال بعضهم: إنها تبدأ بعد سن الثمانين، وقال آخرون: إنها تبدأ بعد سن التسعين، وغالب أقوالهم أنها لا تقل عن السبعين عام بأي حال من الأحوال.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مكتبة الرياض، ج ١١، ص ٢٤٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ،ج ١٢، ص ٦٠٧. وكذلك: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٩٨٣.

و بكل حال يمكن أن نلحظ أن آخر هذه المراحل هي مرحلة الشيخوخة، أو الهرم، وهو الزيادة في كبر السن، و هو أرذل العمر وعدّ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة آخر مرحلة قبل الموت، فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مُفنَّداً، أو موتاً مجهزاً.**)[1]، وروى عبد الله ابن الشخير عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(**مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية، إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت**) [2]. وهذه المرحلة - مرحلة أرذل العمر - هي التي كان يتعوذ منها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُرد إليها ففي الحديث الذي يرويه البخاري أن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة (**اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن**

(١) عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٩، ص ١٨٥.
(٢) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، ج ٩، ص ٢٨٠ وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

وأعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر) (١) وسبب ذلك ما فيها من الخرف ، واختلال العقل والحواسّ والضّبط والفهم ، وتشويه بعض المناظر ، والعجز عن كثير من الطّاعات ، والتّساهُل في بعضها، وكما قال الشاعر:

وجع المفاصـل وهو أيسـ ... رُ ما لقـيت من الأذى
ردّ الـــذي استحـسنتــه ... والناس من حظي كذا
والعمــر مثــل الكأس ير ... سب في أواخره القـذا

ومرحلة الشيخوخة مرحلة عُمرية من عمر الإنسان، اختلف في تحديدها، ففي العديد من المجتمعات المتقدمة صناعياً تعد هذه المرحلة بداية من بعد سن الستين أو الخامسة والستين، وفي مجتمعات أُخر ينظر إلى من لديه أحفاد بأنه في مرحلة الشيخوخة (٢). إلا أنه كثيراً ما يرتبط هذا اللفظ لدى الباحثين في علم الاجتماع بسن معينة وهو سن الستين ، فيقال : المُسِنُّ هو : من تجاوز عمره الستين.

ومن المعلوم أن هذه المرحلة العمرية نسبية وتتفاوت من

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار القلم، ١٤٠١هـ /١٩٨١م، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الدنيا.
(٢) الموسوعة العربية العالمية، الرياض، ١٤١٦هـ،ج ١٤، ص ٢٩١.

فرد لآخر في كل مجتمع من المجتمعات، فبعض من بلغ هذا العمر أو تجاوزه قد يكون نشيطاً ولا تظهر عليه بوادر الكبر في السن أو الشيخوخة وتكون التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة غير ظاهرة، والعكس كذلك فإننا قد نجد من هو دون هذا العمر وقد ضعف بدنه واشتعل رأسه شيباً، لذا نستطيع القول: أن العمر التاريخي للإنسان يُعدُّ معياراً غير دقيق لتحديد مرحلة (الشيخوخة).

ومن هنا نجد بعضهم يتخذ أكثر من مقياس لتحديد مرحلة الشيخوخة، فيتخذ العمر الزمني مقياساً يتعامل به مع عدد السنين، والعمر البيولوجي، وهو مقياس وصفي يتناول الجوانب العضوية للإنسان، والعمر الاجتماعي، ويتناول فيه الأدوار الاجتماعية التي يمارسها الفرد وعلاقاته بالآخرين في المجتمع ومع من حوله، وأخيراً العمر النفسي، ويحدد بالخصائص النفسية والتغيرات في سلوك الفرد وحاجاته ودوافعه [1].

وأياً كان الاختلاف، فمن المؤكد أنه ليس هناك حدّ

---

(١) المتقاعدون: بعض مشكلاتهم ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، عبد العزيز الغريب، شركة مطابع نجد، الرياض، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م، ص ٤٩.

فاصل واحد نستطيع القول عنده أن الإنسان قد دخل مرحلة الشيخوخة، خاصة إذا تعاملنا وفق المقاييس السابقة مجتمعة وهي: العمر الزمني، والعمر البيولوجي، والعمر الاجتماعي، والعمر النفسي. ولكننا نستطيع القول بأن مرحلة الشيخوخة هي المرحلة التي يصبح الفرد عاجزاً عن رعاية نفسه وخدمتها، إثر تقدمه في العمر، وليس بسبب إعاقة أو شبهها. وبهذا نخرج من إشكالية تحديد السَّن الزمني لمرحلة الشيخوخة الذي يتفاوت الناس فيه بشكل كبير.

ثانياً: التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة

رغم عدم المقدرة على تحديد حد زمني فاصل بين المرحلة المتوسطة من عمر الإنسان ومرحلة الشيخوخة إلا أنه يمكن القول أن من علامات مرحلة الشيخوخة ومن بوادرها ظهور عدد من التغيرات الجسمية، والصحية، والاجتماعية، والنفسية، والعقلية. ويمكن أن نجمع كل هذه التغيرات بوصف الضعف العام فإن مرحلة الشيخوخة أو مرحلة الهرم لدى الإنسان يصاحبها ضعف عام في الإنسان، قال تعالى:(**اللهُ الَّذي خَلَقَكُم مِن ضَعفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعد ضَعفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ قُوَّةٍ ضَعفاً وَشَيبَةً يَخلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ**) (الروم ٥٤).

ووفق هذه الآية الكريمة فالإنسان في الحياة الدنيا يمر بثلاث مراحل رئيسة: ضعف، ثمّ قوة، ثمّ ضعف. فهناك: الضعف في مرحلة الطفولة، ثم القوة في مرحلة الشباب والرجولة، وأخيرا الضعف في مرحلة الكهولة والشيخوخة، ولكن هذا الضعف الأخير متفاوت نسبياً بين البشر بعامة والمسلمين بخاصة، وسيتضح ذلك التفاوت بعد عرضٍ موجز للتغيرات التي تصيب الإنسان في مرحلة الشيخوخة.

ومن المعلوم أن المتغيرات الجسمية، والاجتماعية، والنفسية، والعقلية، والاقتصادية التي تحدث للإنسان في مرحلة الشيخوخة تتفاعل مع بعضها البعض وتؤثر كما تتأثر بغيرها من التغيرات الأخرى التي تحدث في هذه المرحلة وهذا واضح بشكل جلي، فهي لا تعمل في الإنسان بمعزل عن بعضها البعض ومن هذه التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة:

التغيرات الجسمية:

إن أول ما يصاحب مرحلة الشيخوخة التغيرات الجسمية والضعف الصحي والبدني بشكل عام، فتظهر بعض التغيرات المرئية على جسم الإنسان في حال تقدمه في السنّ مثل: تجعُّد الجلد وجفافه، وثقل في السمع، وضعف في البصر والشم والحواس بشكل عام، وبطء الحركة، وترهل بعض العضلات، وتغير لون الشعر، كما أن هناك تغيرات جسمية غير مرئية مثل ما يحدث من ضعف في العظام، وانخفاض لحرارة الجسم نتيجة لقلة الحركة، إضافة لارتفاع نسبة الإصابة ببعض الأمراض، مثل: ارتفاع ضغط الدم، والسكر، والقبض المزمن، والضعف

الجنسي نتيجة لتلك الأمراض [1]. ذلك أن الإنسان في هذه المرحلة يكون معرضاً بشكل أكبر للأمراض، وقد تفنن الشعراء في وصف الضعف الذي يصيب الإنسان في هذه المرحلة سواء في سمعه أو بصره أو قوته بشكل عام فيقول الشاعر:

أنكرت من بصري مـا كنت اعرفه
واسترجـع الدهر مـا قـد كان يعطينا
قد كان سمعي دبيب النمل يسمعه
فـأصبـح الطبـل إن ضـج يواسينا
أبعـد تسعـين ولت كنت أحـسبها
أبغي الذي كنت أبغيه ابن عشرينا

ويقــول الآخــر:

أصبحت شيخـا أرى الشخصـين أربعـة
والشـخص شخصـين لما مسني الكبرُ
لا أسمـع الصـوت حتى أستدير لهُ
ليـلا وإن هــو نــاغــاني بــه القـمــرُ

(١) طب الشيخوخة والمريض المسن، ستيفن وشرودر، ترجمة: ماجد العطار، دار القلم العربي، سوريا، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٦.

التغيرات الاجتماعية:

تتعدد التغيرات الاجتماعية التي تصاحب مرحلة الشيخوخة وتتداخل مع بعضها البعض، إلا أن أبرز هذه التغيرات لدى المسنّين هي: تقلُص علاقاتهم الاجتماعية، إذ تقتصر على الأصدقاء القدامى ومن كان يسكن بقربه نظراً لصعوبة تنقلاته بسبب التغيرات الجسمية آنفة الذكر وهذا قد يؤدي إلى تقلص المكانة الاجتماعية للمسن، كما ينتج عن هذا التغير مظهر جديد في حياة المسنّ ألا وهو: الفراغ والعزلة والشعور بالغربة، وذلك نتيجة للانسحاب المتبادل بين المسن والمجتمع الذي يؤدي بدوره إلى ضيق الاتصال بالمجتمع، وإلى تدهور المشاركة الاجتماعية لديه(1) وهو ما يسمى باغتراب المسنّين عن المجتمع وهذا عائد إلى فقدان الأدوار الاجتماعية المتمثلة في رعاية الأبناء والأسرة، وكما قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم
وخُلفت في قرن فأنت غريب

---

(1) التوافق عند المسنّين، هالة العمران، في: (رعاية المسنّين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج، البحرين، ١٩٩٢م/١٤١٢هـ، ص٧١.

وبالجملة فان المسنّ ينتقل من الاعتماد على النفس إلى الاعتماد على الآخرين، وهذه المظاهر الجديدة في حياة المسنّ تساعد على بروز التغيرات النفسية التي يلي عرضٌ لها:

التغيرات النفسية والانفعالية:

ترتبط التغيرات النفسية بالتغيرات السابقة بشكل كبير، وإن كان ارتباطها بالتغيرات الاجتماعية يبدو واضحاً بشكل أكبر، وأبرز هذه التغيرات: تغيرٌّ مفهوم الفرد عن ذاته، وبروز القلق والاكتئاب والملل كمظهر جديد في حياة المسنّ، كما يصاحب ذلك توهم المرض، وكثرة الشكوى، والحساسية الزائدة، والإعجاب بالماضي، والعناد والشك، وعدم الثقة في الآخرين، كما تتغير اهتمامات المسنّ فتتركز حول الجوانب الشخصية، وقد يصل الأمر إلى الانطواء والانعزال عن المجتمع،ولابد من الإشارة هنا إلى أن ((الاهتمامات الدينية تزيد مع التقدم في العمر)) [1] وهذه ميزة إيجابية في مرحلة الشيخوخة ينبغي أن تستثمر لصالح تكيف المسنّ مع التغيرات الجديدة في حياته.

---

(١) المتقاعدون، مرجع سابق، ص ٥٦.

التغيرات العقلية:

يُعد النسيان وضعف الذاكرة من أبرز مظاهر التغيرات العقلية التي تحدث في مرحلة الشيخوخة، وبخاصة المعلومات الحديثة، بخلاف المعلومات القديمة التي في الذاكرة، لذلك يحلو لكبار السن ترداد القصص التي حدثت له في شبابه، إضافة إلى ذلك يبدأ خَرفَ الشيخوخة بالظهور لدى البعض من كبار السن، ويتمثل ذلك في تكرار الحديث مرات ومرات، وعدم التعرف على الأبناء والأقارب، كما تضعف القدرة على الإدراك والتعلم وتتصف هذه المرحلة بالتفكير البطيء. وليس معنى ذلك أن المسنّ غير قابل للتعلم، ولكنه يستطيع التعلم واكتساب مهارات وقدرات جديدة فقط يحتاج إلى وقت أطول مما يحتاجه غيره [1].

التغيرات الاقتصادية:

في مرحلة الشيخوخة يصل الإنسان إلى مرحلة التقاعد الوظيفي عند بلوغه السن النظامية، وغالبا ما ينخفض دخل

---

(١) نافذة على الشيخوخة، أسامة عريقات، دار الثقافة، الدوحة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٢٦.

المسنّ وهذا عائد إلى انخفاض الراتب التقاعدي، وبالتالي يؤدي ذلك إلى عجزه عن تلبية العديد من الحاجيات الشخصية والأسرية، وبخاصة إذا اقترن ذلك بتوقع إصابة المسن ببعض الأمراض وما تحتاجه من زيارات للطبيب وشراء الأدوية، فهو يعاني من انخفاض في الدخل مع تزايد في الأعباء المالية، ويصاحب تلك الاحتياجات الغلاء المتزايد للأسعار وضعف القوة الشرائية للنقود، وهذا قد يؤدي إلى العديد من الضغوط النفسية لدى كبار السن نتيجة ذلك العجز، لذلك نرى بعض الدول تقوم بتعديل معاشات الأفراد المتقاعدين مرة كل سنة، وبعضها مرتين كل سنة، وبعضها مرة كل ثلاثة أشهر [1]، وكل ذلك لمواجهة هذه المتغيرات الاقتصادية في حياة المسنّ.

ولقد أفاض الإمام ابن الجوزي - يرحمه الله - المتوفى في سنة (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) في وصف وتحليل مرحلة الشيخوخة والتغيرات المتنوعة التي تحدث فيها، ووصفها وصفاً دقيقاً بكل ما يصاحبها من تغيرات جسمية، وعقلية

---

(١) رعاية المسنين اجتماعياً، محمد فهمي، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، ص ١١٩.

وركز في وصفه على التغيرات: الجسمية، والعقلية منها بخاصة، وكان ذلك قبل أكثر من ثمان مائة سنة، وأصبح له السبق العلمي على غيره من العلماء الذين كتبوا عن هذه المرحلة في العصور المتأخرة [1].

ولقد وصف أبو العريان، الهيثم بن الأسود النخعي حال من كبرت سنُّه نثراً وشعراً عندما سأله صاحبه عن حاله، فقال: أجدني قد ابيضّ مني ما كنت أحب أن يسودّ، واسودّ مني ما كنت أحب أن يبيضّ، ولآن مني ما كنت أحب أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنت أحب أن يلين، وأجدني يسبقني من بين يديّ، ويدركني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملاء، وأسهر في الخلاء، وإذا قمتُ قربت الأرض مني، وإذا قعدتُ بعدت عني، ثم أنشد شعراً:

---

(١) انظر كتاب: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ابن الجوزي، تحقيق: عرفة حلمي عباس، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م /١٤١٢هـ. وكذلك كتاب: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق علي الطنطاوي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ١٣٩، ١١٤، ٣١٥، ٢٩٠، ٢١٩. وكذلك: التربية والشيخوخة، دراسة للأبعاد التربوية لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، حسن عبدا لعال، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، العدد ٤٨، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

فاســمع أنبئـك بآيات الكبر

تقارب الخطو وضعف البصر

وقـلة الطــعم إذا الزاد حضر

وكثرة النسيــان مـا بي مُدّكر

وقـلة النــوم إذا الليل اعتكر

أولـه نــومٌ وثـلثــاه ســهـر

وسعـلـة تعتـادني مـع السحر

وتركي الحسناء في حين الطُهر

وحـــذراً أزداده إلى حـــذر

والناس يبلون كما يبلى الشجر (١)

وسأل الحجاج رجلاً من بني ليث، قد بلغ سناً كبيرة، قال: كيف طُعمك ؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. قال: فكيف نكاحك ؟ قال: إذا بُذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. قال: كيف نومك ؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. قال: كيف قيامك وقعودك ؟ قال: إذا

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م /١٤٠١هـ، جزء ٢، ص. ٢٢٧- ٢٣٢.

أردت الأرض تباعدت منّي، وإذا أردت القيام لزمتني. قال: كيف مشيتك ؟ قال: تعقلني الشعرة وأعثر بالبعرة. ولبعض حكماء العرب قصيدة يصف فيها مراحل الإنسان العمرية التي يمر بها وحاله في كل مرحلة من المراحل، يقول فيها (١):

ابنُ عشرٍ من السنين غلام   همه اللعبُ مولع بالحمامِ
وابنُ عشرين مولع بالغواني   لا يبالي ملامة اللوَّامِ
والذي يبلغ الثلاثين عاماً   فضروب لدى الوغى بالحسامِ
فإذا جاوزها بعشر سنين   كان أقوى من كل قرن مُسامِ
وابن خمسين للنوائب يرجى   ولنقض الأمور والإبرامِ
وابن ستين حازم الرأي طبٌّ   كامل العقل ضابط للكلامِ
وابن سبعين قد تولى وأودى   وتثنى فما له من قوامِ
والذي يبلغ الثمانين عاماً   ذاهب الذهن دائبُ الأسقامِ
وابن تسعين تائهٌ قد تناهى   إن تسعين غاية الأعوامِ
فإذا جازها بعشر فحي   مثلُ ميت مودع بالسلامِ

١) بهجة المجالس وأنس المجالس، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٢٧ ـ ٢٤٢.

ولقد جمع الطبيب الدكتور عادل المصري ما يعتري جسد الهرم من حالات في قصيدته (**مرثية جسد**)، وقد أوردها احمد حسن الخميسي في مقال له بمجلة العرب وهي [1]:

تسعون دبت دبيب لتكمل الهدم فى ما
تعمــق الشــرخ في لتطــمس القـــرب
كأنما هي والأيام قد ســـور الشـــباب
يهدم الدهــر جــسماً يــــد الطــبيب وإن
ودمــدم الشــيب واحـــسرتاه إذا
وعـــم رأسي دوارٌ ذاك الطــنين ونقصٌ
وراود الســـد عيني فالليــل والصبح في
وغضـــن الزمـــن وخدد الوجه حتى

وراح الطبيب الشاعر يعدد مظاهر الشيخوخة التي تبدو على كل كبيرة، فذكر في قصيدته بالإضافة لما سلف ذكره : تساقط الأسنان، وبحة الصوت، وتصلب الشرايين، وارتفاع

---

(١) مفردات الشيخوخة في القران الكريم، احمد حسن الخميسي، مجلة العرب، السنة ٢٩ ، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، الرياض، ص ٣٢٣.

الضغط، واضطرابات هضمية، ورقّة العظم، وتقوّس الظهر، وتشوّش في الحواس، ورعشة في اليدين، وجفاف في الجلد وتغضن فيه، واكتئاب، وعجز يزيد يوماً وراء يوم، وليس أمام الشيخ إلا تعميق صلته بالله وعمل الخير ما استطاع، والتوبة إلى الله والرجوع إليه حتى تكون خاتمته عطرة؛ لذلك قال في نهاية قصيدته :

وعلمتني على الأيام أن أشهد الحق
أستغفر الله من حب الغواني وشعر

مرحلة التقاعد:

وفي وقتنا الحاضر يُعدُ اكبر تغير يحدث في حياة كبار السن هو التقاعد من العمل، وبخاصة بعد انتشار الاعتماد على الأعمال الحكومية أو العمل في القطاع الخاص كالشركات والبنوك والمؤسسات العامة، وتناقص الاعتماد على العمل الخاص الشخصي أو التجارة أو المهن أو الحرف اليدوية الشخصية التي يمارسها الإنسان بنفسه دون ارتباط بجهة ما كما كان سابقا، والتقاعد في ابسط تعاريفه، هو: الحال التي يكون فيها الفرد مرغما أو مختارا ليعمل أقل من ساعات الدوام المعتادة، ويكون جزء من دخله على الأقل من معاش التقاعد

الذي اكتسبه نتيجة سنوات الخدمة [1]، والمتقاعد هو من ترك وظيفته سواء إجباريا بسبب بلوغه سن التقاعد أو اختياريا بسبب ظروفه الصحية، ومن هنا فالتقاعد يعني: خسارة الأجر الذي كان يحصل عليه من العمل وقد لا يعوضه إياه الراتب المعاش الذي يستحقه من مدة خدمته، إضافة إلى خسارة المكانة الاجتماعية التي كان يشغلها بمركزه الوظيفي في جهة العمل، فالتقاعد يُعدُ نقطة تحول رئيسية وسمة مميزة لكبير السن ويحدث تغييرًا جوهريًا عميق الأثر في حياته مما يؤدي إلى تقلص منظومة مكانته الاجتماعية، وعلى ذلك فالتقاعد كمفهوم اجتماعي يعني:

- تغير الوضع المهني للشيخ.
- فقدان الكثير من الأدوار المرتبطة بالعمل سواء أكان ارتباطًا مباشرًا أم غير مباشر.
- وجود وقت فراغ مع عدم ارتباط بعمل معين.

(١) المتقاعدون، إبراهيم بن محمّد العبيدي، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٤٥.

- الحرمان من مخصصات مالية:وأهم هذه المخصصات: الأجر الشهري الثابت البدلات الثابتة بأنواعها المختلفة.
- الحرمان من المخصصات العينية: ومن أهمها: السكن، والسيارة، وعضوية النوادي وغير ذلك.
- الحرمان من امتيازات اجتماعية: ومن أهمها: النفوذ والمهابة المرتبطة بوظيفته، وما يصاحب ذلك من نفوذ في مجالات أخرى، سهولة الاتصال المباشر بأصحاب السلطة والنفوذ، القدرة على قضاء المصالح لمن يقصده .... الخ.[1]

وتزداد هذه الأشياء في علاقة طردية مع المنصب السابق قبل التقاعد فكلما كان المنصب اكبر كان الفقدان اكبر، وعادةً ما ينظر إلى التقاعد على أنه حدث في حياة الإنسان يرتبط ببلوغه سن الستين أو الخامسة والستين (أو أقل من ذلك أو أكثر حسب نظام التقاعد الرسمي) حين يذهب إلى عمله (لآخر مرة) ليحصل على رمز تذكاري أو شهادة تقدير أو يحضر حفل تكريم له، إلا أنه أكثر من ذلك في واقع الأمر، فهو عملية أكثر منه حدث، أي تغير يحدث تدريجيًا ويستغرق وقتًا.

---

(١) دراسات في علم اجتماع الشيخوخة، عبد العزيز بن علي الغريب، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص١٣٣.

ويحتاج معه كبير السن إلى جهد كبير للتكيف معه، ((وتحتل عملية التكيف حيزا كبيرا من حياتنا الاجتماعية وذلك من خلال ما نبذله من جهد فكري أو من خلال ما نصرفه من الوقت لكي نتوافق مع ما يصادفنا من مواقف جديدة، وعملية التكيف عملية مستمرة في مسيرة الحياة، فالجنين في بطن أمه يتحرك ذات اليمين وذات الشمال حتى يجد الوضع المريح، والطفل يحاول أن يتكيف مع ظروف أسرته الاقتصادية من خلال التنازل عن كثير من متطلباته، وعندما يدخل المدرسة يحاول أن يتكيف مع قوانينها ولوائحها ويمرّ الطفل بهذه العملية عاما بعد عام وعندما ينتهي من الدراسة شابا ثُمَّ ينتقل إلى مجال العمل حيث يجب عليه أن يتكيف لظروف العمل ومتطلباته، وبعد أن يمضي العديد من السنوات يودع العمل ليستقبل مرحلة جديدة هي مرحلة التقاعد والذي عليه أن يتكيف لظروفها وطبيعتها، وفي الحقيقة أن عملية التكيف عملية دائمة نعيشها ونعايشها خلال مراحل حياتنا المختلفة))[1]، فالتقاعد مرحلة من المراحل التي يعيشها الإنسان إلا أن الاستجابة لها والتكيف معها يختلف

(١) المتقاعدون، مرجع سابق، ص٢٦.

من فرد إلى آخر فهناك من يستقبلها في مسرة ورضا، وهناك من تقع عليه وقوع الكارثة وقد تؤدي بالبعض إلى الدخول في دوامة من المشكلات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والصحية.

ثالثاً: مقدمات أساسية لفهم مرحلة الشيخوخة في الإسلام

هناك العديد من المقدمات الرئيسية في موضوع الشيخوخة يحسُن التعرف عليها قبل الحديث عن وسائل الإسلام لتحقيق التعايش والتكيف مع التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة، وبعض هذه المقدمات تعد من المسلمات الشرعية، ولا يمكن أن نتحدث عن موقف الإسلام من مرحلة الشيخوخة وكيف استطاع جعل المسلم يتعايش معها دون الأخذ بهذه القواعد في الاعتبار، كما أن الإلمام بهذه القواعد أو المقدمات يفسر لنا كثيراً من التغيرات التي تظهر على الإنسان في مرحلة الشيخوخة وهذا التفسير يجعل مهمة من يتعامل مع كبير السنّ سهلة إلى حد كبير يؤدي إلى تحقيق مطالب المسنّ دون تبرم أو ضيق من أسرته أو العاملين معه. كما أن التعرف يساعد كثيرا في التخفيف من حدة أثر المتغيرات، ويمكننا الاستفادة منها في مصلحة المسنّ نفسه لجعله بتعايش بتكيف كبير مع المرحلة الجديدة التي وصل إليها وبدأ يعيش في متغيراتها، ومن هذه القواعد ما يلي:

١ - الإنسان مخلوق مكرم، ومكانته محترمة في الإسلام:

لقد أسجد الله ملائكته للإنسان حين خلقه، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ (ص: آية ٧١- ٧٤)، وهذا السجود سجود إكرام وإعظام واحترام كما ذكر المفسرون [١]، وجنس الإنسان مكرم، وله منزلة خاصة بين مخلوقات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ (الإسراء، آية: ٧٠)، وفي سنن ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض ملائكته**) [٢]، ولقد كرم الله - عز وجل - هذا المخلوق البشري على كثير ممن خلق وفضله على كثير منهم. كرمه بهيئته، وتسويته، وفطرته، وخلافته في الأرض، وبتسخير الكون له، وكرمه بإعلان ذلك التكريم وتخليده في كتابه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص١١٤٩.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، حديث رقم ٣٩٤٧.

العزيز، ((فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها في العقل والعلم والبيان، والنطق، والشكل، والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، والقد المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر، والطاعة، والانقياد))(1). كما خص الله - عز وجل - الإنسان بميزة جعلته من أشرف المخلوقات، وهي العقل، وإلى جانب ذلك فالإنسان يمتاز بما به من تركيب جسماني خاص يسهل له القيام بمختلف الأعمال التي يمارسها كالاعتدال والاستواء، ذلك أن الله خلق كل شيء منكبًا على وجهه وخلق الإنسان مستويًا (2). قال تعالى:﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (غافر، آية: ٦٤).

ومن هنا، فالإنسان مكرم له منزلته المحترمة، وله كرامته المصونة المعتبرة، وكبير السن له حق في هذا التكريم، ومما يزيد

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار نجد للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، ج١، ص٣٢٨.

(٢) المبادئ الاجتماعية في الإسلام، محمد رجاء عبد المتجلي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، العدد ٨٤، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.

في تكريمه الضعف الذي يعيشه بسبب التغيرات التي يمر بها في آخر حياته، فلا يجوز المساس بحياته أو إهمالها بحجة أنه عاجز وغير منتج أو غير نافع للمجتمع أو أن رعايته مكلفة وغير اقتصادية أو غير ذلك من الأعذار التي تبرر التهرب من العناية به أو رعايته أو المحافظة على صحته.

٢) كلما تقدم الإنسان في العمر زاد لديه حب البقاء وطول العمر:

إن الرغبة في الحياة وإن كانت مشتركة بين عموم الناس وبمختلف مستوياتهم العمرية إلا أنها تظهر بجلاء لدى كبار السن، وبخاصة كلما تقدم بهم العمر، ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**الشيخ يكبر ويضعف جسمه، وقلبه شاب على حبّ اثنتين: طول الحياة، وحب المال**) [١]. وليس هذا فحسب، بل هناك علاقة طردية بين الزيادة في العمر والرغبة في الحياة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق عبد الله الدويش، دار الفكر، ١٤١١هـ/١٩٩١م، جزء ٣، ص ٢٣٤.

(يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر)[1]، وفي رواية عند البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه: (إنّ ابن آدم يضعُف جسمه وينحل لحمه من الكبر وقلبه شابّ). وقال ابن حجر - رحمه الله - في الفتح شرحا للحديث: "قال النّوويّ: هذا مجاز واستعارة ومعناهُ : أنّ قلب الشّيخ كامل الحُبّ للمال مُتحكّم في ذلك كاحتكام قُوّة الشّابّ في شبابه، ... وذلك أنّ الشّيخ من شأنه أن تكُون آماله وحرصه على الدُّنيا قد بليت على بلاء جسمه إذا انقضى عُمره ولم يبق لهُ إلّا انتظار الموت، فلمّا كان الأمر بضدّه ذمّ، ... والتّعبير بالشّابّ إشارة إلى كثرة الحرص وبُعد الأمل الّذي هُو في الشّباب أكثر وبهم أليق لكثرة الرّجاء عادة عندهم في طُول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذّاتهم في الدُّنيا، و الحكمة في التّخصيص بهذين الأمرين أنّ أحبّ الأشياء إلى ابن آدم نفسه ، فهُو راغب في بقائها فأحبّ لذلك طُول العُمر، وأحبّ المال لأنّهُ من أعظم الأسباب في دوام الصّحّة الّتي ينشأ عنها غالبًا طُول العُمر ، فكُلّما أحسّ بقُرب نفاد ذلك اشتدّ حُبّه لهُ ورغبته في دوامه". فالشاب أو

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله إليه.

صغير السن وهو يعيش زهرة شبابه قد لا يشعر بأن مصيره قد اقترب كما يشعر به المسنّ لذلك نجد أن الرغبة في الحياة وطول الأمل تزيد لدى الإنسان في مرحلة الشيخوخة. وقد سئل أحد الحكماء: مابال الشيخ احرص على الدنيا من الشاب؟ فقال: لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب، وترجم ذلك شعرا الصحابي المعمّر النابغة الجعدي رضي الله عنه فقال:

المرء يرغب في الحيـــاة   وطول عيش قد يضره
تفنى بشـــاشـته ويبقـ   ـبعد حـلو العيش مره
وتسـؤوه الأيـام حتـ   ـى ما يرى شيئا يسره
كما شامت بي إن هلكـ   ـت وقـــائـل لله دره

أو كما قال الشاعر:

كأني وقد جـاوزت تسعين حجـة
خلعتُ بها عنّي عِـذارَ لجامي
رمتني بناتُ الدهر من حيث لا أرى
فما بال من يُرْمى ولـيس برام
فـلو أنهـا نبـل إذا لاتقيتـهـا
ولكنـــمـا أرمى بغـير سهـام
وأهـلكني تأميـل يوم وليلـــة
وتأميـل عـام بعد ذاك وعـام

((قال الحكيم الترمذي رحمه الله : ذكر صلى الله عليه وسلم المال لأنه به ينال جميع الشهوات، وذكر العمر لأن بدوامه تدوم الشهوات، فإذا ذهب العمر وزال المال تعطلت الشهوات، فوجدت النفس لذة الشهوات ولذة دوام العمر، فتشبثت به واستأثرت بالقلب .

عن مكحول رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نفس ابن آدم شابة، ولو التقت ترقوتاه من الكبر، إلا من امتحن الله تعالى قلبه للتقوى، وقليل ما هم)[1]. لأن النفس معدن الشهوات فهي شابة، لأن الشهوات بمنزلة النار؛ لا تزال متوقدة ما دام الحطب موجوداً، فإذا أمسك عنها الحطب خمدت لا محالة، فكذلك النفس لا تزال رطبة متوقدة بشهواتها ما دامت النعم موجودة، فإذا أمسك عنها ذلت وبست، فالنفوس شابة وإن هرمت الجوارح وانهدت الأركان لدوام التنعم بالمال والعمر))[2].

---

(١) لم اعثر على هذا الحديث فيما لدي من مراجع وكذلك لم أجده في كتب الموضوعات أو سلسلة الأحاديث الضعيفة وكذلك كتب الأحاديث المشتهرة ولعله من موقوف على مكحول رضي الله عنه وليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) المعمرون، محمّد أبي اليسر عابدين، دار ابن عابدين، دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ٩٢.

وبكل حال فهناك من ذم هذه الرغبة في البقاء في الحياة لما فيها من ارتداد إلى أرذل العمر والعجز والهرم كما قال الشاعر:

يحب الفتى طول السلامة والبقا
فكيف ترى طول السلامة يعلُ
يردُ الفتى بعد اعتـدال وصحـة
ينـــوء إذا رام القيـام ويُحـمـل

ويُنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أبيات في هذا المعنى ومنها:

إذا عـــاش الفـــتى ســـتين عـــاما
فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يذهب ليس يدري
لغفلـته يميـــنا عن شـمال
وثلث النصف آمال وحرص
وشغل بالمكاسب والعيال
وباقي العـــمر اســقام وشـيب
وهم بارتحـــال وانتـقـــال
فحب المرء طـــول العمر جهـل
وقسمته عـــلى هذا المثـــال

وأيا ما كانت طبيعة الحياة فمن المؤكد أن الإنسان يرغب في البقاء وهذه الرغبة القوية في حب البقاء وطول العمر، قد تفسر لنا كثرة الشكوى من المرض أو توهمه أحيانا لدى كبار السن.

٣) طول العمر من السعادة وهو أمر محبب في الإسلام:

إن الإسلام حين يقرر أن كبير السن هو أحرص الناس على البقاء في الحياة فهو يؤكد في الوقت نفسه أن المؤمن لا يزاد في عمره إلا يكون خيراً له، ولقد تضافرت الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم التي تؤكد هذا الأمر، ومن ذلك الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خير)[1]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم**

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، دار الخير، بيروت، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ، جزء ٦، ص ١٨٠.

أعمالاً)[1]، وفي المسند أن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيان فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد ؟. قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(من طال عمره وحسن عمله)** [2]، وعن الحسن رضي الله عنه أنه قال: أفضل الناس ثواباً يوم القيامة المؤمن المُعمّر [3].

يضاف إلى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لبعض أصحابه بطول العمر، ولو كان طول العمر شراً للمؤمن أو سوءاً له ما دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه، ولما شرع لأمته من بعده أن تدعو به، ففي الحديث الذي يرويه أنسّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: **(اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، وأغفر له)** [4]، ولقد طالت حياة أنسّ رضي الله عنه، وعاش بعد هذه الدعوة، وتوفى وعمره قد جاوز المائة عام.

وقد عدَّ الرسول صلى الله عليه وسلم طول عمر المسلم

---

(١) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٠.
(٢) المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٢١٠.
(٣) كتاب العمر والشيب، ابن أبي الدنيا، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م، ص ٥٩.
(٤) الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٢٢٣.

في الحياة الدنيا من السعادة، ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (... **وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة**) [1]، كما أن الله إذا أراد بقوم خير مدَّ لهم في العمر، فيروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(**إذا أراد الله بقوم خيراً مدَّ لهم في العمر، وألهمهم الشكر**)[2]. ولذا استدل كثير من العلماء بهذه الأحاديث لجواز الدعاء للإنسان بطول العمر.

ويوضح هذه المسألة ابن الجوزي رحمه الله بقوله: ((دعوت يوما فقلت اللهم بلغني امالي من العلم والعمل، وأطل عمري لأبلغ ما أحب من ذلك، فعارضني وسواس إبليس، فقال: ثُمَّ ماذا؟ أليس الموت؟ فما الذي ينفع طول الحياة؟. فقلت: يا أبله. لو فهمت ما تحت سؤالي علمت أنه ليس بعبث، أليس في كل يوم يزيد علمي ومعرفتي، فتكثر ثمار غرسي يوم حصادي؟ أفيسرني أنني مت منذ عشرين سنة، لا والله لأني ما كنت أعرف الله تعالى معرفتي به اليوم وكل ذلك

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، بدون تاريخ ، جزء ١٠، ص ٢٠٦ ، وقال الهيثمي إسناده حسن.
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، جزء ١، ص ٦٥.

ثمرة الحياة التي اجتنيت أدلة الوحدانية، وارتقيت عن حضيض التقليد إلى يَفاع البصيرة، واطلعت على علوم زاد بها قدري، وتجوهرت بها نفسي، ثُمَّ زاد غرسي لآخرتي، وقويت تجارتي في إنقاذ المباضعين من المتعلمين، وقد قال الله تعالى لسيد المرسلين: (**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**) (طه، آية: ١١٤). وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال(...**لا يزيد المؤمن عمره إلا خير**)[١]، فيا ليتني قدرت على عمر نوح فان العلم كثير، وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع))[٢].

٤) مهما طال عمر كبير السن فهو يراه قليل:

يكاد يجمع المعمرون مهما امتد بهم العمر أنهم لم يعيشوا في هذه الدنيا إلا أياماً قليلةً، وهذا ما ورد عن نوح عليه السلام الذي عاش ألفا وأربعمائة وخمسين سنة ومصداق طول عمر نوح عليه السلام قول الله عز وجل :(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ**

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق ، جزء ٦، ص ١٨٠.
(٢) صيد الخاطر، مرجع سابق، ص ١١٤.

الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (العنكبوت، آية:١٤) ففي الأثر الذي يرويه أبو حاتم السجستاني في كتابه (المعمرون من العرب) وفيه: (لما بعث الله نوحا إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة، فلما أتاه ملك الموت قال: يا نوح، يا أبا كُبر الأنبياء، ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة: كيف رأيت الدنيا؟، قال: مثل رجل بُني له بيت له بابان، فدخل من واحد، وخرج من الآخر[1]، ويروي ابن أبي الدنيا هذه القصة مصداقا لذلك، فيذكر أن قوما دخلوا على أعرابي يعودونه، فقال له بعضهم: كم أتى عليك؟. فقال: خمسون ومائة سنة. فقالوا: عُمر والله!، فقال: لا تقولوا ذاك فوالله لو استكملتموه لاستقللتموها [2]. وابلغ من صور ذلك الشاعر الجاهلي المشهور (زهير ابن أبي سلمى) في أبيات له يقول فيها:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى
من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
بـــدا لي أني عشــــت تســـعين حجة
وعـشرا وتســـعا بعدها وثمانيا

---

(١) كتاب المعمرين من العرب، أبي حاتم السجستاني، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار الطلائع، القاهرة، ١٤١٣هـ، ص ١٠.
(٢) كتاب العمر والشيب، مرجع سابق، ص ٥٥.

فلــم ألفِهــا لما مضـت وعــددتها
بحسبتــها في الـدهر إلا لياليا

أو كما قال الشاعر الآخر:

لي سـبع وثمانون سـنة
فـإذا قــدرتها كانت سـنة
إن عمر المرء ما قد سره
ليس عمر المرء مرّ الأزمنة

وقــال الآخــر:

وما خير عيش نصفه سنة الكرى
ونصـــف به نعتـل أو نتـوجـع
مـع الوقت يمضـي بؤسه ونعيمه
كأن لم يكن والوقت عمرك أجمع

٥) تعلق المسن بالماضي والحنين إلى ذكرياته وكثرة الحديث عنه:

يميل كبار السن عادة إلى ذكر فضائل الماضي ومحاسنه، والسبب في ذلك أن تلك الفترة التي يذكرها باستمرار ولا يمل من تذكرها وتكرارها تُعْدُ فترة الإنجاز عنده، وهي فترة الشباب والحيوية والنشاط والقوة البدنية والنفسية والاجتماعية بشكل عام، كما أن هذه الفترة التي لا يفتأ يتذكرها

مرتبطة بذكريات غالبا ما تكون عزيزة على النفس ولا يمكن بحال من الأحوال أن تعود، ولا يمكن أن تعوض كذلك وهذا ما يزيد من التعلق بها واسترجاعها في الذهن أولاً ثُمَّ الحديث عنها بتحنان وتحسر، ومن تلك الذكريات وجود الوالدين، ووجود الأصدقاء، وتوفر المال وامتلاك القوة والحيوية والشباب والنشاط المصاحب لذلك كله.

ومما يلاحظ أن ذاكرة المسن فيما يتعلق بالماضي تظل في الغالب قوية وعلى الرغم من الشائع في الأذهان هو أن الشيوخ ضعاف الذاكرة، إلا أن هناك ذاكرات متعددة لا ذاكرة واحدة فحسب، وأن بعض الذاكرات تضعف لدى الشيوخ، دون باقي الذاكرات. فذاكرة الأسماء على سبيل المثال تضعف لديهم باستثناء الأسماء التي لها دلالة وجدانية في عاطفة الشخص المسن، ولعل ذاكرة الطفولة، وهي الأحداث والأشخاص المرتبطين بذهن الشيخ في عهد الطفولة وفي عهد المراهقة والشباب تزداد قوة، والإنجازات التي يصنعها الإنسان بعقله وروحه وجسده تظل محفورة في الذاكرة، ولا تمحي بسبب

كثرة ما ترد على الذاكرة من وقت لآخر واسترجاعها مرات عديدة، لأن الإنسان يجد في روايتها للآخرين متعة كبيرة[1].

إن مما لاشك فيه أن فخر المسن بتجاربه السابقة واعتزازه بإنجازاته في الماضي يُعدُ وجهاً من وجوه النشاط التعويضي النفسي الذي يمارسه المسن، فهو يريد أن يؤكد لمن حوله أن له تاريخاً جميلا وعزيزا على نفسه، وأن له سطوراً مشرقة سطرها في سابق أيامه يستحق عليها التقدير والاحترام الآن بعد أن تقدم به السن وزادت به السنون في الحياة، كما يعتبر كل ذلك مما يستحق من أجله أن يحتفظ بمكانته في المجتمع، فهو يرى نفسه من خلال هذا الشعور بأنه ليس فضلة على المجتمع الذي حوله أو نكرة فيه، كما يرى أنه قد أسهم في صنع الحاضر الذي يتمتع به غيره الآن، وله على من حوله من الأقرباء الذين هم المجتمع الصغير - الأسرة - أم من البُعداء وهم المجتمع بشكل عام دين وواجب عليهم يقومون به تجاهه وذلك يكون من خلال احترامه وتقديره.

(١) بعض الخصائص الاجتماعية والنفسية للمسنين: دراسة في كتاب (المعمرين) لأبي حاتم السجستاني، عبد الرزاق بن حمود الزهراني، في (ندوة الرعاية الشاملة للمسنين: الواقع والمأمول) وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص ٥٣.

وهذه الممارسات التي يقوم بها المسن سواء صرح بها أم لم يصرح بها إنما هي نوع من الانسحاب من الواقع، وانكفاء على الذات من خلال العيش في الماضي، وهذا ما تذهب إليه نظرية الانسحاب التي حاولت تفسير عمليات الشيخوخة وهي تقوم على أن هناك نوعاً من الانفصال بين المسن والمجتمع حيث ينسحب كبير السن تدريجياً من فعاليات الحياة وعمن حوله، وتقل مشاركته في الأنشطة العامة.

وفي ذلك يقول أحد كبار السن مصورا صورة المنسحب من المجتمع ومن واقعه إلى الماضي عن طريق فخره بمآثره وإنجازاته، والعيش مع ذكرياته، والقائل هو (زهير بن جناب) بعد أن مرت عليه السنون[1]:

أبني إن أهلك فقد	أورثتكم مجدا بنيه
وتركتكم أولاد سا	دات رنادكم وريه
كل الذي نال الفتى	قد نلته إلا التحية
كم من محيـــا لا يوا	زيـــني ولا يهب

(١) كتاب المعمرين من العرب، مرجع سابق، ص ٤١.

فهو يفخر بما أنجزه في ماضي أيامه، وما خلف لأبنائه من شرف وسمعة طيبة. ويفخر بمكانته وكرمه وشجاعته وفصاحة لسانه. وفي التغني بمفاخر الماضي قول الآخر وهو (فضالة بن زيد العدواني) الذي يُقال أنه عاش مائة وعشرين سنة وقال هذه الأبيات بعد هذا العمر الطويل[1]:

وحرب يحيد القوم عن	شــهـدت فــكنــت
توسطتها بالسيف إذ	الكماة فلم يغشوا من
فلـــما رأيت الموت	عليّ تعمدت أمراً كان
فييمت سيفي رأسه	يهرُ عليه الذئب أفضح
نفدت فمالي حيلة غير	أجــود إذا ســيل
وأبذل عـفــواً ما	وأجـبر فيـــاللأواء

فهو يفخر بشجاعته وبالمعارك التي شارك فيها، كما يفخر بجوده وكرمه ومساعدته للمحتاجين والفقراء والمعدمين، وبكل حال فموضوع اجترار الماضي وقصصه مما يكثر بين كبار

(١) كتاب المعمرين من العرب، مرجع سابق، ص ١١٣.

السن حنينا لتلك الأيام الخوالي، وتعويضا عما يكون قد فقده في حاضره، ويمكن أن يلحظ كل مجالس لكبير في السن هذه الخاصية إلا ما ندر فتكاد تذهب الجلسة في قصصه الماضية وما كانوا يفعلونه في شبابهم وبطولاتهم وأسفارهم وتنقلاتهم وما كانوا يواجهونه من صعاب وكيف تغلبوا عليها، ويصاحب ذلك تلميحا أو تصريحا ذما لهذا الزمن بسبب عدم تقديرهم لتلك المآثر.

٦) يُزاد في عمر المسلم بسبب بعض الأعمال الصالحة:

وكما قرر الإسلام أن المؤمن لا يزاد في عمره إلا كان خيراً له فقد دلنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعض الأعمال التي بسببها يطول عمر الإنسان، وعدَّ إطالة العمر جزاء لهذه الأعمال الفاضلة، ومن ذلك: بر الوالدين، وصلة الرحم، وحُسن الخُلق، وحُسن الجوار، وتقوى الله. فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من أحب أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**)[1].

قال ابن حجر رحمه الله : يُنسأ له في أثره أي: يؤخر في

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٢٣٢.

أجله[1]، وقال الترمذي: يُنسأ له في أثره أي: الزيادة في العمر[2]. وحدثت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنه من أعطى حظّه من الرفق، فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحُسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**) [3]، وروى سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من برَّ والديه طوبى له، زاد الله – عز وجل – في عمره**)[4].

ولقد فسَّر بعض العلماء رحمهم الله زيادة العمر بأنها البركة في العمر، وبعضهم أوَّلَها بالذكر الحسن بعد وفاة الإنسان فلا يضمحل ذكره في الدنيا سريعاً، وبعضهم قال: إن الزيادة في العمر هي الذرية الصالحة يدعون له من بعده. وقال بعض العلماء: إن الزيادة في العمر: نفي الآفات، والزيادة في الأفهام والعقول والبصائر، كما قيل إن المقصود بزيادة العمر السعة في الرزق واليَسَار والزيادة فيه.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ، جزء ١٠، ص ٤١٦.

(٢) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٥٠.

(٣) المسند، مرجع سابق، جزء ٩، ص ٥٠٤. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء٢، حديث رقم ٥١٩.

(٤) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٢٤.

والذي يترجح أن المقصود بالزيادة في العمر الواردة في الآثار السابقة أنها على حقيقتها أي زياد فعلية في عدد السنين التي يعشها الإنسان، لكثرة القائلين به من الصحابة، والتابعين[1]. ولقد حقق الشيخ مرعي المقدسي - رحمه الله - هذه المسألة تحقيقاً مستفيضاً في رسالة جامعة أورد فيها أدلة القائلين بمنع الزيادة في العمر وأدلة القائلين بالزيادة في العمر، وردود كل فريق على الآخر، وانتهى إلى قوله: إنه قد تظاهرت الأحاديث والآثار على زيادة العمر ونقصه، بالنسبة لما في اللوح المحفوظ، أو برز إلى الملائكة، لا بالنسبة إلى ما علم الله تعالى، فإن علمه أزلي لا يتغير، والأشياء كلها واقعة على وفق علمه في الأزل من غير زيادة ونقص. فعلم الله - عز وجل - لا يتغير ولا يتبدل، وما في اللوح المحفوظ يغير ويبدل[2].

٧) للمسنُّ المسلم مكانة متميزة في الإسلام:

وهذه المكانة المتميزة بها ألبسه الله من ثياب الوقار بشيبه،

---

(١) رعاية المسنيّن في الإسلام، عبد الله بن ناصر السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ، ص٢٩.

(٢) إرشاد ذوي العرفان من الزيادة والنقصان، مرعي المقدسي الكرمي الحنبلي، دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ،ص ٦٠- ٦٦.

وبسبب الضعف الذي يعيشه في أواخر أيامه فقد روى كعب بن مرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة**)[1]، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: (**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم،وحامل القرآن، غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط**) [2].

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن نتف الشيب، وقال: (**هو نور المؤمن**)، وقال: (**ما شاب رجل في الإسلام شيبة إلا رفعه الله بها درجة، ومحيت عنه بها سيئة وكتبت له بها حسنة**) [3]. وفي الموطأ عن ابن المسيب رضي الله عنه أنه قال: (كان إبراهيم - عليه السلام - أول الناس ضيَّف الضيف، وأول الناس اختتن، وأول الناس قصَّ الشارب،

---

(١) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٧، ص ١٣٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) الأدب المفرد، مرجع سابق، ١٣٠، وكذلك: رياض الصالحين، النووي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق، دار الوراق، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ١٤٨، وقال النووي: حديث حسن.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ٣٠٤.

وأول الناس رأى الشيب فقال: يارب ما هذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى: وقار يا إبراهيم، فقال: يارب زدني وقاراً) [1]. فهذا الشيب الذي هو سمة كبير السن نهى الإسلام عن إزالته أو تغييره باعتباره نعمة من نعم الله على الإنسان في هذه المرحلة، وما ذاك إلا تذكير للإنسان أن هذه المرحلة التي يعيشها رغم ما فيها من ضعف وعنت إلا أنها محطة تكريم ومنزلة خاصة له وهذا الشيب دليل على ذلك، فالشيب اكسب الإنسان ذاك الوقار الذي يجلل الفرد المسلم، وفي الإمامة في الصلاة نجد أن لكبر السن اعتباره ففي الحديث الذي يرويه الإمام مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنا ولا تؤمن الرجل في أهله ولا في سلطانه ولا تجلس على تكرمته في بيته إلا أن يأذن لك أو بإذنه**) [2] وقال شراح الحديث (أكبرهم سنــا): أي يُقدم في الإمامة من كبر سنه في الإسلام

---

(١) موطأ الإمام مالك، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص ٦٦٠.

(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة.

لأن ذلك فضيلة يُرجح بها، ... فأكبرهم سنا مُقدم على من هُو أصغر سنا لفضيلة السن، ولأنهُ إذا تقدم أصحابه في السن فقد تقدمهُم في الإسلام فصار بمنزلة من تقدمت هجرته.

وللضعف الذي يعيشه المسنّ نجد أن الإسلام قد راعى كبار السن في بعض الأحكام الفقهية، ورتب على ذلك أحكاماً تتصف باليسر والتجاوز مراعاة لحالتهم الصحية والبدنية، فنجد في بعض العبادات لهم معاملة خاصة، ومن ذلك الترخيص لكبير السن في إنابة من يحج عنه لكبر سنه وعجزه عن ذلك، فيروي البخاري أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن امرأة من خثعم استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فهل يقضي أن أحج عنه قال: **(نعم)** [١]، إضافة إلى الرخصة للشيخ الكبير بالإفطار في شهر رمضان حين عجزه، والإطعام عن كل يوم مسكيناً ، فيروي البخاري أن ابن عباس كان يقرأ قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى**

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب حجة الوداع.

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة، آية:١٨٣-١٨٤)
قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا.[١]

وفي شأن الصلاة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الأئمة الذين يصلون بالناس بالتخفيف في صلاتهم مراعاة لمن خلفهم من الضعفاء وكبار السن. ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذ رضي الله عنه ألا يطيل صلاة العشاء فقال له: **(يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرار فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة)** [٢] ، وفي الصلاة نفسها أباح لهم ما يسمى بجلسة الاستراحة في الصلاة - وهي

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب تفسير القران، باب قوله أيام معدودات فمن كان منكم مريضا.
(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الآذان، باب من شكا أمامه إذا طوّل.

الجلسة التي تكون بعد الفراغ من السجدة الثانية ؛ وقبل النهوض إلى الركعة الثانية والرابعة -، فهذا حكم خاص بكبار السن مراعاة لضعفهم وتخفيفاً عليهم، وذلك بعدم القيام مباشرة للركعة بل يأخذ حقه من الراحة ثم يقف ليتابع الإمام، ولقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفعلها بعد أن بدن جسمه وكبر سنه [١].

٨) لا يصل إلى مرحلة الشيخوخة من المسلمين إلا القليل:

من المعلوم والمقرر عند علماء الإسلام أن غالب المسلمين لا يصلون إلى مرحلة الشيخوخة التي تحدث فيها هذه التغيرات المتعددة التي سبق ذكرها، وما يصاحبها من تدهور صحي، وبدني، واجتماعي، ونفسي، واقتصادي. فإن القليل من المسلمين هم الذين قد يصلون إلى هذه المرحلة المتقدمة من العمر وهي مرحلة الشيخوخة، ذلك أن أعمار المسلمين غالباً بين الستين إلى السبعين وفقا لحديث الرسول صلى الله عليه

(١) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار أولي النهي، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء ١، ص ٥٧٧.

وسلم الذي يقول فيه: (**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**)[1]. قال شراح الحديث: وهذا محمُولٌ على الغالب بدليل شهادة الحال فإنّ منهُم من لم يبلُغ ستّين سنةً، ومنهُم من يجُوزُ سبعين كما أن اعتبار الغلبة في جانب الزّيادة على سبعين واضحٌ جدًّا، فالظّاهرُ أنّ المُراد به أنّ عُمر الأمة من سنّ المحمُود الوسط المُعتدل الّذي مات فيه غالبُ الأمة ما بين العددين، منهُم سيّدُ الأنبياء وأكابرُ الخُلفاء، كالصّدّيق والفارُوق وغيرهم من العُلماء والأولياء، ممّا يصعُبُ فيه الاستقصاءُ.

وهذه المرحلة - الشيخوخة - كما ذكر في تعريفها أنه تبدأ بعد سن خمس وسبعين، وقال بعضهم: إنها تبدأ بعد سن الثمانين، وقال آخرون: إنها بعد سن التسعين، وغالب أقوالهم أنها لا تقل عن السبعين عام بأي حال من الأحوال، ومن هنا فان التغيرات التي تحدث للإنسان في مرحلة الشيخوخة لا يمر

(١) المستدرك، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص٤٢٧. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٤١٥.

بها الغالبية العظمى من المسلمين بسبب وفاتهم قبل ذلك العمر، فالقليل منهم يتجاوز سن السبعين، وهذا ملاحظ ومشهود.

((قال الحكيم الترمذي رحمه الله : من رحمة الله على هذه الأمة وعطفه عليهم أن أخرهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام بعد أن نفدت الدنيا، ثم قصر أعمارهم لئلا يتلبسوا بالدنيا إلا قليلاً، ولا يتدنسوا فإن القرون الماضية كانت أعمارهم وأجسادهم وأرزاقهم على الضعف؛ كان أحدهم يعمر ألف سنة ...، ثم لم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والأجل والرزق إلى أن صارت هذه الأمة آخر الأمم، ليأخذوا من الدنيا أرزاقاً قليلة بأجساد ضعيفة، في مدة قصيرة، حتى لا يأشروا، ولا يبطروا، فهذا تدبير من الله عز وجل؛ رحمة لهذه الأمة، ثم ضوعف لهم الحسنات، فجعلت الحسنة الواحدة بعشرة إلى سبع مئة إلى ما لا يعلمه من التضعيف إلا الله تعالى، وأيدوا باليقين، وأعطوا ليلة القدر)) [1]. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أعطيت أمتي خمس**

---

(١) المعمرون، مرجع سابق، ص ١١١.

خصال في رمضان لم تعطها أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله عز وجل كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ويصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ويغفر لهم في آخر ليلة قيل يا رسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله)[1].

٩) المسلم الملتزم بدينه في حياته لا يتعرض لمرحلة أرذل العمر:

يتضح مما ذكر من المتغيرات التي تصيب الإنسان في مرحلة الشيخوخة عظمة القرآن ودقة تصويره للحال التي قد يعيشها الإنسان في مراحل حياته، فيبدأ بضعف الطفولة، ثمّ قوة الشباب، وأخيرا ضعف الشيخوخة، كما تتبين دقة التصوير لهذه المرحلة عندما بتأمل وصف الله عز وجل لها في محكم كتابه، وذلك بأنها عودة إلى أرذل العمر كما في قوله

---

(١) مسند الإمام احمد مرجع سابق، مسند أبي هريرة رضي اللّه عنه.

تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوَفَّاكُم وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرذَلِ العُمُرِ لِكَي لا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[النحل: ٧٠]. وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو: آخر مرحلة من مراحل عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وهو أخسّه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القوى، وتفسد فيه حواس الإنسان، ويختل فيه النطق والفكر، ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ والخرف، وخصّه الله بالرذيلة لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد [١].

إلا أن من المفسرين من ذكر أن بعض المؤمنين يُستثنون من حال الردّ إلى أرذل العمر. قال القرطبي رحمه الله: ((إن هذا لا يكون للمؤمن - يعني الخرف والرد إلى أرذل العمر -، لأن المؤمن لا يُنزع عنه علمه [٢]، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ((ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة))، كما نُقل عن عكرمة

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر العربي، ١٤٠٣هـ، جزء ٣، ص٤٣٧. وكذلك: أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، جزء ٣، ص ٢٨٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ، جزء ١٠، ص١٤١.

قوله: ((من قرأ القرآن - أي حفظه - لم يُرَد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً)) [1]، وقال طاووس: ((إن العالم لا يخرف)) [2]، وذكر السيوطي عن عبد الملك بن عمير أنه قال: ((كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قُراء القرآن)) [3]. كما ذكر ابن أبي الدنيا عن الشعبي أنه قال: ((من قرأ القرآن لم يخرف)) [4].

وقال الشنقيطي في أضواء البيان عند تفسير الآية السابقة: "إن العلماء العاملين لا ينالهم هذا الخرف وضياع العلم والعقل من شدة الكبر، ويُستروح لهذا المعنى السابق من بعض التفسيرات في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ (التين: ٥-٦) وأن الاستثناء في قوله تعالى (**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**) يدل على أنهم لا يصلون إلى حالة الخرف وأرذل العمر، ولأن المؤمن مهما طال عمره فهو في طاعة وفي ذكر الله، فهو كامل العقل، وقد تواتر عند العامة

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، جزء ٣، ص٢٨.
(٢) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٣، ص ١٧٩.
(٣) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ج٥، ص ١٤٦
(٤) كتاب العمر والشيب، مرجع سابق، ص ٧٥.

والخاصة أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته لا يُصاب بالخرف ولا بالهذيان. ثمّ استرسل في ذكر بعض الشواهد الواقعية التي شاهدها بنفسه وتدل على صدق ما ذهب إليه من أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته لا يصاب بخرف الشيخوخة" [1].

وهذا القول ليس بجديد، ولم يقل به الشنقيطي فقط، بل قال به عدد من أئمة الأمة وعلمائها، و منهم: ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وعطاء، والكلبي، وابن جرير الطبري [2]. ومن ذلك أن السيوطي نقل عن عكرمة عند تفسير قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ (التين: ٦،٥) أنه قال: ولا ينزل تلك المنزلة أحد قرأ القرآن - أي حفظه - [3]. ونُقل عن محمد بن كعب القرظي قوله: من قرأ القرآن - أي حفظه - مُتِّع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة [4].

وجزم الإمام ابن فورك أن صاحب البر تُنفى عنه الآفات

(١) أضواء البيان، مرجع سابق، جزء ٩، ص ٣٣٤.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري،ج ٣٠، ص ٢٤٤.
(٣) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٥٥٨.
(٤) صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ١٣٣.

في فهمه وعقله حال كبره [1]. وكما يقول (جمال سعيد): إن العالم يكون أطول عمراً من غيره وهذا حق فقد ثبت بالإحصاء أن رجال الدين أطول أعماراً.[2] ، ((ولا شك أن الجنون والعته ونحوهما من صفات النقصان، فالله تعالى لا يبتلي كامل الإنسان أنبياء وأولياء، فالمراد بقولهم إن العلماء لا يعرض لهم العته؛ وإن بلغوا إلى أرذل العمر علماء الآخرة، والعلماء بالله، لا مطلق العلماء كما لا يخفى، إذ قد شاهدنا من علماء زماننا من صار حاله إلى حال الطفولية. ثم إن أرذل العمر؛ وإن كان أشد الأزمان وأصعبها لكنه أوان المغفرة ورفعة الدرجة)) [3].

وقد يكون عدم الرد إلى أرذل العمر بسبب أن غالب المسلمين لا تبلغ أعمارهم أكثر من السبعين وفق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك)** [4]، كما قد تكون بسبب ما ذكره العلماء

---

(١) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٤١٦.

(٢) تأملات في الألوان والغرائز والشيخوخة، جمال محمد سعيد، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ، ص١٥٣.

(٣) المعمرون، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٤) المستدرك، مرجع سابق، ج ٢، ص٤٢٧. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٤١٥.

والمفسرون و شرّاح الأحاديث التي سردت أقوالهم آنفاً.

١٠) لا علاج لإعراض مرحلة الشيخوخة:

بقيت الإشارة في هذا الخصوص إلى أن هناك محاولات لعلاج أمراض الشيخوخة والهرم الذي يصيب بعض الناس في كبرهم، وهذه المحاولات تكثر في العالم الغربي بشكل واضح، وقد ينجرف معها بعض الأطباء المسلمين، إلا أن هذه المحاولات مكتوباً لها الفشل مسبقاً بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أسامة بن شريك رضي الله عنه أن الأعراب قالت: يا رسول الله ألا نتداوى ؟، قال: (**نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً إلا داءً واحداً قالوا: يا رسول الله وما هو قال: الهرم**) [1]. وفي الحديث الآخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله عز وجل لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاءً إلا الهرم ...**) الحديث [2]. قال شراح الحديث في كلمة (شفاء) أي دواء شافيًا بجري العادة الإلهيّة، وقد عدّ الرسول صلى الله عليه وسلم كبر السّنّ من الأسقام

(١) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١١٠.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، جزء ٢ ،حديث رقم ٥١٨.

وإن لم يكُن منها لأنّهُ من أسباب الهلاك ومُقدّماته كالدّاء أو لأنّهُ يُفتر البدن عن القُوّة والاعتدال.

ومن هنا يتضح أنه لا علاج للشيخوخة أو الهرم أو بمعنى آخر إيقاف ذلك التدهور البدني الذي يحدث في مرحلة الشيخوخة، وفق أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق ذكرها،وإن كانت بعض الأبحاث تشير إلى إمكانية التأثير على سرعة حدوث بعض التغيرات الجسمية وتبطئتها [1]، إلا أن محاولة منعها بشكل كامل فذاك مما عجز عنه العلم حتى الآن، ولاشك أن هذا العجز سيستمر. ومما ينبغي ملاحظته أن التزام الإنسان المسلم لحدود الله، وحفظه للقرآن قد يؤخر حدوث ذلك التدهور البدني والعقلي، فلا تظهر إلا في الأيام الأخيرة جداً من حياة الإنسان فيبدو وكأنه لم يعشها قياساً إلى عمره السابق، وقد يصل الأمر إلى الاعتقاد بعدم حدوثها.

---

(١) التغيرات البيولوجية للمسن، فيصل الناصر، محاضرة غير منشورة، الدورة التدريبية للقيادات الإشرافية والتخطيطية العاملة في مجال المسنّين، البحرين، ١٤١٨هـ، ص ١٦.

١١) توقير الكبير سمة من سمات المجتمع المسلم:

يتصف المجتمع المسلم بصفات كريمة منها: توقير الكبير في السن، وقد تواتر حثُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إكرام الكبير، وتوقيره، ومن ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري - يرحمه الله - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم**) الحديث [١]، وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**) [٢]، وذكر بعض العلماء أن مقتضى هذه الصيغة وهي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ليس منا**) التحريم، ومن العلماء من جعلها كبيرة من الكبائر [٣].

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (جاء أبو بكر رضي الله عنه بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى

---

(١) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١٣٠.
(٢) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٠٧.
(٣) الآداب الشرعية، ابن مفلح الحنبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، جزء١، ص ٤٧١.

الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: (**لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه**) الحديث [1].

وبكل حال فكل هذه الأحاديث والآثار تدل دلالة أكيدة على أن منزلة المسنّ منزلة كبيرة لدى المجتمع المسلم، بالإضافة إلى أن توقيره واحترامه مما يتصف به المجتمع الإسلامي، وهي ركيزة أساسية ينبغي عدم إغفالها حين الحديث عن هذه المرحلة من العمر.

١٢) إن جزاء الإحسان في الإسلام الإحسان:

قال الله تعالى: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾، (النحل، آية: ٣٠) **وقال كذلك: (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)** (الرحمن: ٦٠)، أي هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق، ونفع عبيده، إلا أن يحسن خالقه إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير والنعيم والعيش السليم [2].

---

(١) المسند، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٣٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ، ص٨٣١.

روى شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**) الحديث[1]. وتتجلى حكمة التشريع من خلال تأمل هذا الحديث فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما أكرم شابٌ شيخاً لسنِّه إلا قيَّض الله له من يكرمه عند سنِّه**)[2]، فهذا الحديث يبيِّن أن إحسان الشاب للشيخ يكون سبباً لأن يقيِّض الله له من يكرمه عند كبره، ومن العلماء من قال: إن في هذا الحديث دليلاً على إطالة عمر الشاب الذي يكرم المُسنَّين[3]. قال ابن العربي: قال علماؤنا: في هذا دليل على أن الفتى إذا أكرم الشيخ كان ذلك علامة على طول العمر لقوله صلى الله عليه وسلم: (**قيض الله له عند سِنِّه**) ثم روى حادثةً عن محمد بن القاسم العثماني أنه قال: دخل ابن عبد الصمد الشاعر في مجلس وقد أكل منه الكبر وشرب وله هودلة في مشيه من ذلك فتغامز الأحداث عليه فلما استقر به المجلس استدعى دواة وقرطاساً وكتب:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيد، حديث رقم ٥٠٥٥.
(٢) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٧٩.
(٣) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٠٩- ١١٠.

يا عيبا للشيوخ من أشر   داخله للصبي ومن بذخ
أذكر إذا شئت أن تعيبهم   جدَّك واذكر أباك يابن أخي
واعلم بأن الشباب منسلخ   عنك وما وزره منسلخِ
من لا يعز الشيوخ لا بلغت   يوماً به سنُّه إلى الشِّيخ

وكما تدين تدان، فإن كان خيرًا كان الخير بالخير والبادئ أكرم، وإن كان شرًا كان الشر بالشر والبادئ أظلم، وكما ورد في الأثر الذي يرويه ابن أبي الدنيا وفيه أنه قال: (بلغنا أنه من أهان ذا شيبة لم يمت حتى يبعث الله عليه من يهينُ شيبته)[1] .

(١) كتاب العمر والشيب، مرجع سابق، ص ٥٣.

رابعــاً: الوسائل العملية للتكيف مع تغيرات مرحلة الشيخوخة

كما ذكرتُ آنفاً أن مرحلة الشيخوخة يصاحبها ضعف عام في البدن، فالإنسان يمر بثلاث مراحل رئيسة: ضعف، ثم قوة، ثم ضعف، وهناك تغيرات أخرى تصيب الإنسان في مرحلة الشيخوخة،فهناك تغيرات اجتماعية، ونفسية، وعقلية، واقتصادية ومن المعلوم أن هذه المتغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة تتفاعل مع بعضها البعض وتؤثر كما تتأثر بغيرها من التغيرات الأخرى، وكما تتأثر هذه المتغيرات بعضها بالبعض الآخر فان أيّا من الخطوات أو الأمور التي أقرها الإسلام لمواجهة إحدى هذه المتغيرات قد يؤدي إلى مواجهة التغيرات الأخرى ومن ثمّ جعل المسلم بتعايش بشكل جيد مع هذه المتغيرات ويتكيف معها أو بعضها.

وجماع ذلك كله تقوية العلاقة التعبدية مع الله عز وجل فقد تكفل الله بالحفظ العام للمسلم الفاعل للخيرات في حياته الدنيا. قال تعالى: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ (النحل آية: ٣٠)، كما قال تعالى:﴿**مَنْ عَمِلَ**

صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل آية: ٩٧) وأكثر المفسرين -رحمهم الله - على أن هذه الحياة الطيبة هي في الدنيا لا في الآخرة [١].

ومن المهم أن نعلم أن الحياة الطيبة ليست محصورة في رغد العيش فحسب، فهناك في الحياة أشياء طيبة حتى مع الكفاف في العيش، ومن ذلك: الصحة والعافية في الأبدان، والاتصال بالله، والاطمئنان إلى رعايته، والرضا، والقناعة، والسكن في الحياة الزوجية، والمودة المتبادلة مع الآخرين... وغيرها كثير لكل متأمل.

لذا لا غرابة أن نجد بعض المفسرين للقرآن الكريم قد توسع عند تفسير هذه الآيات وقال: للذين أحسنوا في عبادة الله، وأحسنوا إلى عباد الله، فلهم في هذه الدنيا حسنة، رزق واسع حلالا طيباً من حيث لا يحتسب، وعيشة هنيئة، وطمأنينة قلب، وأمن، وسرور [٢].

---

(١) فتح القدير، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ٤٤٩. وكذلك: فتح القدير، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩.

كما أن تقوى الله مفتاح لكل خير، وسعة في الرزق، ويسر في أمور الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر آية:١٠)، كما قال تعالى:﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ (الطلاق آية:٢ـ٣) وقوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ (الطلاق آية:٤) وهذا اليسر والرزق بشكل عام في جميع أمور المسلم، وفي جميع مراحله العمرية التي يعيشها الإنسان أو يمرُّ بها في رحلته الدنيوية بلا استثناء.

وعموم ذكر الله والمداومة عليه سبب رئيس للاطمئنان، وانشراح الصدر، وهدوء البال في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ (طه، آية: ١٢٤)، وبعض المفسرين يرى أن المعيشة الضنك عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه من الهموم، والغموم، والآلام التي هي عذاب معجل[١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٥١٦.

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** ﴾ (هود، آية: ٣). ومعنى الآية أي: يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من سعة الرزق ورغد العيش [١].

وحسبك من فوائد ذكر الإنسان لربه والمداومة عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم رسم الحد الفاصل بين الذاكر وعدم الذاكر، شبه الفرق بين من يذكر الله والذي لا يذكره كمثل الحي والميت، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:(**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**) [٢].

ولقد عدّ ابن القيم – يرحمه الله – أكثر من سبعين فائدة للذكر، ومنها: إزالة الهم والغم عن القلب، أنه مجلبة للرزق، وأنه يقوي البدن، وأنه يجلب للإنسان السعة والانبساط والسرور، وأنه يزيل الوحشة عن الإنسان في الحياة الدنيا ... الخ ويستدل على كل فائدة للذكر من القرآن الكريم أو السنة

---

(١) فتح القدير، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٨١.
(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٣٥٣.

النبوية المطهرة[1].

أما الأحاديث التي تدل على فوائد الذكر ومنافعه فأكثر من أن تحصى، ويكفينا هنا أحدها وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب)**[2].

ومع هذه النصوص العامة التي تدل على أن الاقتراب من الله في الصغر والكبر له أثره البالغ في تحقيق التعايش السوي مع مرحلة الشيخوخة، كما يؤدي إلى تحقيق درجة عالية من التكيف في هذه المرحلة، ورغم هذا كله، إلا أننا نجد أن الإسلام قد رتبّ عدداً من الخطوات العملية لمواجهة التغيرات التي قد تحدث لبعض المسلمين في مرحلة الشيخوخة فإذا التزمها المسلم سنجد أنها تؤدي فعلاً إلى التقليل بأكبر قدر ممكن من أثر هذه المتغيرات، وهناك بعض الخطوات العملية تبدأ مع الإنسان منذ شبابه وتكون نتيجتها في الكبر، والبعض الآخر من الخطوات تبدأ في مرحلة

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩ هـ، ص ٥٢- ١٢٠.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء ١، ص ٣٥٢.

الشيخوخة نفسها.

وسيتم استعراض كل متغير يواجهه الإنسان المسلم في مرحلة الشيخوخة وكيف جعل الإسلام الإنسان المسلم يستعد لمواجهته في خطوات عملية تنفيذية يستطيع كل مسلم القيام بها في الغالب الأعم، وهي على النحو الآتي:

أ: الوسائل العملية لتحقيق التكيف مع التغيرات الجسمية:

كما ذكر آنفاً أن الإنسان يصاب في مرحلة الشيخوخة بضعف عام، كما تظهر بعض التغيرات مثل: تجعُّد الجلد وجفافه، وثقل في السمع، وضعف في البصر والشم والحواس بشكل عام، و بطء الحركة، وترهل بعض العضلات، وتغير لون الشعر، كما أن هناك تغيرات جسمية غير مرئية مثل ما يحدث من ضعف في العظام، وانخفاض لحرارة الجسم نتيجة لقلة الحركة، إضافة لارتفاع نسبة الإصابة ببعض الأمراض، مثل: ارتفاع ضغط الدم، والسكر، والقبض المزمن.

و بداية يجب معرفة أن الإسلام يهيئ أفراده لمواجهة الشدائد ويحث على الصبر حين وقوعها، ويرتب على ذلك الأجر الجزيل ومن هذه المصائب ما يحدث للمسلم من ضعف في بدنه أو مصيبة يُصاب بها ففي الحديث الذي يرويه الإمام

مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خير له**) [1] وفي الحديث الآخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر الله عنه به سيئاته**)[2] ففي هذه الأحاديث تطمين للمسلم ورفع من معنوياته وجعله يواجه ضعف هذه المرحلة بروح الصابر الباحث عن الأجر من الله غير المتبرم مما قد يواجه فيه وهذا يؤدي بلا شك إلى رفع معنوياته، وانعكاس ذلك على صحته بشكل عام.

كما أنه مما ينبغي معرفته أن المسلم الملتزم بدينه المواظب على الطاعات تتناقص مثل هذه التغيرات لديه وتكاد تصل إلى درجة الانعدام، أو تتأخر في الظهور حتى الأيام الأخيرة في حياته، ومما يؤكد إمكانية بقاء تلك القوة إلى آخر لحظة في حياة المسلم، وعدم تناقصها ما رواه ابن عمر رضي الله عنه أنه قال:

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٤١٧.

(٢) المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٢٦.وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جزء ٥، ص٣٤٤.

قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعوا بهؤلاء الدعوات لأصحابه: (**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتننا، واجعله الوارث منا..**) الحديث [1]، والمراد إبقاء قُوَّتِه إلى وقت الكبر. و في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول:(**اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً.. أمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك**) [2].

والشاهد في هذه الأحاديث أن إمكانية بقاء القوة والصحة والعافية ممكنة وواردة ويمكن تحصيلها بالمواظبة على مثل هذا الدعاء، و لو لم تكن إمكانية إبقائها والتمتع بها إلى آخر لحظة في العمر واردة وممكنة لما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوات وشرع لأمته أن تدعو بها من بعده. واستشعار هذا الأمر في خاطر الإنسان المسلم يجعله يصرّ في

(١) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ١٣، ص ٣١. وقال الترمذي: حديث حسن.
(٢) موطأ الإمام مالك، مرجع سابق، ص ١٤٢.

الدعاء لكي يمتعه الله بالقوة والصحة والعافية إلى آخر لحظة في حياته، وحفظه من الرد إلى أرذل العمر الذي تعوذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة. وهذه خطوة أولية مهمة في تقليل آثار التغيرات الجسمية على الإنسان، وانعكاسها النفسي في حياة المسنّ لا تخفى. وسيتبعها خطوات أخرى لا تقل من حيث الأهمية.

فهناك بعض الأمور التي تؤدي إلى حفظ قوة المسلم في مرحلة الشيخوخة ومنها، حفظ حدود الله وعدم تجاوزها وحفظ الجوارح في الصغر عن استخدامها في معصية الله، فقد ذكر ابن رجب عند شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: **(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة)** [1]، إن من حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله [2].

وهذا القول يقول به الكثير من علماء الأمة، وليس معنى

---

(١) المسند، مرجع سابق، جزء ١، ص ٦٢٨.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٤٦٦.

ذلك أن كل المسلمين لا تنالهم أعراض الشيخوخة أو الأمراض البدنية التي تحدث في هذه المرحلة، بل المقصود هنا الإنسان المسلم الملتزم بدينه وعقيدته الصحيحة، والحافظ لحدود الله، المتبع لأوامره، المجتنب نواهيه وفق استطاعته، وهذا يكون في المراحل الأولى من عمره. فإن الغالب الأعم بإذن الله أنه يعافى من أعراض مرحلة الشيخوخة، وإذا حصلت له فهي في أواخر أيام عمره لدرجة الاعتقاد أنه لم يصب بها، أولم يعاني منها.

وتروي كتب السِّيَر حوادث عديدة تأكيداً لذلك الأمر، منها على سبيل المثال: أن أبا الطيب الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة قوية لا يستطيعها الشباب فقيل له: ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال: ولِمَ ؟ وما عصيت الله بواحدة منها قط [1]، على العكس من ذلك رأى أحد السلف شيخاً يسأل الناس فقال: إن هذا ضيّع الله في صغره، فضيعه الله في كبره [2]. والشواهد على ذلك

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد عرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، جزء ١٧، ص ٦٧٠.
(٢) نور الاقتباس، ابن رجب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ص ٥٠.

كثيرة على مرّ التاريخ، ومن الشواهد في وقتنا المعاصر واقع علماء الشرع الحنيف والعلماء العاملين على امتداد العالم الإسلامي، حيث يمتازون بالتقدم في السن والتمتع بالصحة والقوة البدنية بشكل ملفت لا يوجد له تفسير - من وجهة نظري - إلا أنه تحقيق عملي لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: **(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة)** [1].

وفي عصرنا الحاضر حسبك أن تعلم أن هناك بعضا من علماء الأمة مثل الشيخ: عبد العزيز بن باز، و محمد متولي الشعراوي، ومصطفى الزرقاء، ومحمد الأمين الشنقيطي، وأبو الأعلى المودودي، وعبد الفتاح أبو غدة، ومناع القطان، وعلي الطنطاوي، وعطيه سالم، ومحمد الغزالي، ومحمّد بن عثيمين - يرحمهم الله - قد توفاهم الله وهم في قوتهم البدنية والعقلية المعتادة، وكانوا يمارسون تدريسهم وتعليمهم للطلاب حتى آخر يوم في حياتهم. وهذا معلوم ومتواتر، وكلي يقين من وجود عدد كبير جداً من هذه الفئة على امتداد رقعة العالم الإسلامي ولكن المجال لا يسع لسردهم.

---

(١) المسند، مرجع سابق، جزء ١، ص ٦٢٨.

ومن الأمور التي تعين المسلم على مواجهة مرحلة الشيخوخة في مرحلة الكبر المداومة على قيام الليل ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد)** [1]، والشاهد في هذا الحديث أن قيام الليل - وهو نوع من أنواع العبادة - يزيد في عافية البدن ويطرد الداء عن الجسد، وبالتالي يمتعه الله بقوته.

ومن تلك الطاعات الصوم، حيث أظهرت الأبحاث الطبية الحديثة أن الصوم يُطيل مرحلة الشباب ويؤخر أعراض الشيخوخة [2]، ومن المعلوم أن الصيام الواجب على المسلم هو صيام شهر رمضان، إلا أن هناك من الصوم ما هو تطوع وهو كثير في الإسلام، فهناك صيام ستة أيام من شوال، وصيام يوم عاشوراء، وصيام يوم عرفه، وصيام أيام البيض - وهي ثلاثة أيام من كل شهر قمري -، إضافة إلى صيام يوم و إفطار يوم

---

(١) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، باب الدعوات: وذكره الألباني في صحيح الجامع ج ٤، ص ٥٠.

(٢) مجلة الفيصل، الرياض، عدد ٢٤٣، رمضان ١٤١٧هـ، ص ٤٢.

طوال العام وهو صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصوم كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما أظهرت الدراسات العلمية أن المداومة على الصلاة ((مفيدة للدورة الدموية الدماغية، وبخاصة عند البدء بالصلاة في سن مبكرة حيث إن ذلك يساعد على إمكانية الأداء ثم التعود على أداء حركات الصلاة بشكل سليم كما يجب أن تكون حيث إن الأداء السليم لحركات الصلاة يساعد على تحقيق اكبر قدر من الفائدة الجسمانية الموجودة فيها نظرا لأن وظائف المخ والذي يعتبر أهم أعضاء الجسم تعتمد بشكل أساسي على الدورة الدموية التي تغذيه فإن هذه الدورة الدموية تتميز بخصائص تتيح لها المحافظة على حيوية المخ من ضمن هذه الخصائص وجود دورة دموية احتياطية كثيفة لتغذية المخ تعمل عند اضطرار الحاجة لها. كذلك وجود نظام تلقائي لتنظيم الدورة الدموية للمخ يضمن سريان الدم إلى المخ تحت الظروف المختلفة.

وقد وجد بتحليل عدد من الدراسات الغربية أن معظم أنواع الرياضة ضار بالدورة الدموية الدماغية، أما الصلاة في الإسلام فهي على العكس من ذلك عظيمة الفائدة، الرياضة البدنية تضر الدورة الدموية بالدماغ حيث إنها تسرق الدم بشكل

مباشر لتغذية العضلات وذلك على حساب المخ، كما أن انخفاض معدلات ثاني أكسيد الكربون في الدم نتيجة تسارع عملية التنفس أثناء ممارسة الرياضة يؤدي إلى مزيد من تباطؤ سريان الدم إلى المخ ، حيث أن نسبة ثاني أكسيد الكربون في الدم تعتبر أحد أهم العوامل التي تتحكم في تدفق الدم إلى الدماغ.

على الجانب الأخر فان صدى حركات الصلاة الإسلامية على الدورة الدموية الدماغية يبدو بالغ الفائدة حيث يزداد سريان الدم إلى المخ أثناء السجود بفعل ميل الرأس إلى أسفل كما أن انطواء الجسم على نفسه أثناء السجود يساعد على توجيه الدم من الأطراف إلى الأعضاء الداخلية والمخ، إضافة إلى ذلك فان معدلات ثاني أكسيد الكربون تزداد في الدم بشكل وظيفي أثناء ميل الرأس إلى أسفل أثناء السجود وذلك نتيجة ضغط الأحشاء على الرئتين هذا الارتفاع في نسبة ثاني أكسيد الكربون بالدم يساعد على إضافة المزيد من تدفق الدم إلى المخ.

كما أن تكرار ميل الرأس إلى أسفل أثناء الركوع والسجود ثم ارتفاعه أثناء القيام والجلوس يساعد على المحافظة على نظام التوازن التلقائي للدورة الدموية بالمخ حيث انه من المعروف أن وظيفة هذا النظام التلقائي تبلى مع تقدم العمر،

كما انه قد وجد أن النظام التلقائي لتوازن الدورة الدموية بالمخ ذو رد فعل مزدوج أثناء السجود حيث يعاند في البداية التدفق الزائد للدم في أول السجود حتى يتأهب المخ لاستقبال التدفق الزائد تلك المعاندة لسريان الدم للمخ تحفز وتعطي الفرصة للدورة الدموية المخية الاحتياطية للتأهب والعمل ثم يلي ذلك مرحلة أخرى يسمح فيها للدم الزائد المتدفق بالسريان إلى المخ وتوزيعه بالتالي على الأوعية الدموية الاحتياطية وبذلك تتم المحافظة على تلك الوظيفة الاحتياطية المهمة ومن المعروف عنها كذلك أنها تبلى وتشيخ مع تقدم العمر ربما بسبب الإهمال وعدم الاستعمال.

ومن هنا يتضح أن الصلاة في الإسلام ذات فائدة واضحة على تدفق الدورة الدموية للمخ وعلى المحافظة على وظيفة الأوعية الدموية للمخ وكذلك وظيفة نظام التوازن التلقائي للدورة الدموية للدماغ))[1]، وبخاصة عند التقدم في العمر.

(١) للاطلاع على تفصيل تلك الدراسة انظر: اثر الصلاة على كفاءة الدورة الدموية بالدماغ، عبد الله محمد نصرت، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، www.noor.org.

وفي دراسة علمية ميدانية أجريت على (١٨٨) بالغا تبين منها أنه ((إذا بدأ الإنسان في تليين أسفل ظهره في سن مبكرة، واستمر في هذا التمرين وحافظ عليه أثناء الكبر فإنّ فرصته في الإصابة بالآلام الشديدة والإنزلاقات الغضروفية في أسفل الظهر ستتقلص بشكل كبير، وهذا يتأتي وبشكل جلي في أداء الصلاة والمحافظة عليها منذ الصغر وفق حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر**) فآلام أسفل الظهر من المشاكل الشائعـة في البالغين غالباً ما تظهر بسبب فقدان الليونة من الرباط الطولي الخلفي Longitudinal Ligament Posterior في الظهر وكذلك النسيج الليفي الذي يشكل الطبقات الخارجية من القرص الغضروفي Annulus Fibrosus عندما تفقد هذه الأنسجة القدرة على التمغط فإنّها تتمزق عند حصول حركة خاطئة تساعد على تهتكها. والحركة التي تضع ضغطا على هذه الأنسجة هي ثني الظهر للأمام والّركب مفرودة، وهذا التمزق نادر جداً في الأطفال لأن أنسجتهم مرنة وتتمغط عند الانحناء، وإذا حافظنا على ميزة مرونة الرباط والغضاريف الموجودة في الأطفال، فهل سيقلل هذا من نسبة الإصابة بآلام أسفل الظهر والإنزلاقات الغضروفية في الكبار، لذا لا عجب

أن نجد الإسلام يأمر أطفال المسلمين من دون العبادات بالصلاة في سنّ مبكِّرة هي السابعة وعلى أقصى تقدير العاشرة، فإذا بدأ الأولاد بالركوع مرات عديدة كل يوم ابتداءً من السن السابعة وعلى الأكثر السن العاشرة، فإن الأربطة الطولية خلف الفقرات وألياف الغضروف الخلفية تحافظ على ليونتها فيصعب تمزقها في الكبر ويبقى الغضروف آمناً بين الفقرات، وهكذا تتقلص مشكلة صعبة تعاني منها فئة كبيرة من الناس. وهذا يظهر الأهميّة العلميّة للصلاة المبكرة فالفروق كبيرة بين الذين يحافظون على ليونة ظهورهم من سن مبكرة وغيرهم ممن حرموا من هذه النعمة في طفولتهم. أمّا من بدأ الصلاة متأخراً فوضعه غير مطمئن إطلاقا وهو غير آمن، ونتيجةً لهذا الاكتشاف العلمي تبلورت معجزتان إسلاميتان جديدتان ظلتا مخفيتين لأكثر من ألف وأربع مائة سنة وهما تصميم الإسلام على الانتظام في الصلاة قبل سنّ العاشرة، وكذلك الركوع في الصلاة فهو معجزة إسلامية أخرى))[1].

---

(١) للاطلاع على تفصيل تلك الدراسة انظر: الطب الحديث يكشف النقاب عن علاقة الصلاة في الصغر والآم الظهر في الكبر، محمد وليد الشعراني، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، www.noor.org.

كما اتضح الأثر الكبير لأداء الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين، من خلال دراسة تمَّ إجراؤها على ٢٠ حالة مصابة بدوالي الساقين و١٠ حالات غير مصابة كما قام بقياس الضغط الوريدي على ظاهر القدم في ١٥ حالة غير مصابة وقد أثبتت الدراسة تأثير الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين عن طريق ثلاثة أسباب: الأول: أوضاعها المتميزة المؤدية إلى أقل ضغط واقع على الجدران الضعيفة لأوردة الساقين السطحية. الثاني: تنشيطها لعمل المضخة الوريدية الجانبية، ومن ثم زيادة خفض الضغط على الأوردة المذكورة. الثالث: تقوية الجدران الضعيفة عن طريق رفع كفاءة البناء الغذائي بها، ضمن دفعها لكفاءة التمثيل الغذائي بالجسم عموماً [١].

ومن الطاعات التي إذا التزمها المسلم أدت به إلى مزيد من القوة في بدنه الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل بأن يمتعه بعمره ويبقي صحته وقوته والتعوذ من الرد إلى أرذل العمر،

(١) للاطلاع على تفصيل تلك الدراسة انظر: معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين، توفيق علوان، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، www.noor.org.

والتعوذ من الهرم والعجز والكسل وممن ذلك ما رواه البخاري رحمه الله عن عمرو بن ميمون الأودي قال كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: (**اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر**)[1]. ومن الحديث يتضح خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الأشياء وهي الجبن والرد إلى أرذل العمر وفتنة الدنيا وعذاب القبر دبر كل صلاة أي خمس مرات في اليوم وما ذاك إلا لسوء عاقبتهن، وفي الحديث الآخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ يقول: (**اللهم إني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل**)[2]، وفي الحديث التعوذ من الهرم وقرن معه الكسل.

ومن تلك العبادات القولية الاستغفار والمداومة عليه،

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من أرذل العمر.

قال تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾ (هود: آية ٥٢). فالآية تدل على أن الله يمدد المستغفرين بقوة إلى قوتهم، ومن ذلك القوة البدنية كما يفهم من أقوال بعض المفسرين، وإن كان قد قال بعضهم أن القوة المقصودة زيادة المال وقال آخرون زيادة في الولد لأن وجودهم قوة للمرء. وفي الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**)[1].

ب: الوسائل العملية لتحقيق التكيف مع التغيرات الاجتماعية والنفسية:

سبق الذكر أن الإنسان يمر بعدد من التغيرات الاجتماعية مثل: تقلُص العلاقات الاجتماعية، إذ تقتصر على الأصدقاء القدامى ومن كان يسكن بقربه نظراً لصعوبة تنقلاته بسبب التغيرات الجسمية آنفة الذكر،كما ينتج عن هذا التغير مظهر جديد في حياة الإنسان، ألا وهو: الفراغ والعزلة، وذلك نتيجة

(١) سنن أبي داود ، مرجع سابق، جزء ١ ، ص ٣٥٢.

للانسحاب المتبادل بين المسن والمجتمع الذي يؤدي بدوره إلى ضيق الاتصال بالمجتمع، وإلى تدهور المشاركة الاجتماعية لديه.

وترتبط التغيرات النفسية بالتغيرات الاجتماعية بشكل كبير، وأبرز هذه التغيرات: تغيُّر مفهوم الفرد عن ذاته، وبروز القلق والاكتئاب والملل كمظهر جديد في حياة المسنّ،بسبب تقلص علاقاته الاجتماعية مع الآخرين، كما يصاحب ذلك توهم المرض، وكثرة الشكوى، والحساسية الزائدة، والإعجاب بالماضي، والعناد والشك، وعدم الثقة في الآخرين، كما تتغير اهتمامات المسنّ فتتركز حول الجوانب الشخصية، إضافة إلى أن الاهتمامات الدينية تزيد مع التقدم في العمر. وهذا التغير الأخير مما ينبغي التركيز عليه و الإفادة منه بشكل إيجابي في حياة المسنّ

ولمواجهة هذه التغيرات التي قد تحدث في حياة المسلم في مرحلة الشيخوخة نجد أن الإسلام يحث أفراده على المخالطة الاجتماعية، مخالطة عامة الناس وتحمل ما قد يصدر عنهم، والصبر على أذاهم ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير**

من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) [1]. وهذا الأمر يشمل الصغير والكبير، فمع المخالطة تزول الوحشة بين الناس، وتنتفي العزلة التي قد يصل إليها المسنّ والتي منها يتطور الأمر إلى الاكتئاب والقلق.

كما رغب الإسلام في التآلف بين المسلمين وعدّ الألفة بين الناس من الخيرية ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)**[2]. وهذه الألفة البينية لا تتحقق إلا بأمور عدة أهمها و أبرزها التزاور البيني، والصلة بين الأرحام وعدم قطيعتهم، بل إن صلة الرحم أكد عليها الإسلام بشكل قوي وخاص ومن ذلك قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يدخل الجنة قاطع رحم)** [3]. وصلة الرحم درجات بعضها ارفع من بعض فمن الصلة على سبيل المثال: طلاقة الوجه، والبشاشة، والسلام، والعطف، والرحمة، والإحسان إليهم،وتعاهدهم بالسؤال عنهم، والتهادي، وعونهم عند الاحتياج، والنفقة عليهم.

---

(١) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٤١.
(٢) المسند، مرجع سابق، ج٣، ص٣٦٣.
(٣) صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٦، ص ٨٨.

إن مما يميّز الدين الإسلامي أنه دين اجتماعي ينفر من التفرد والشذوذ عن الجماعة فقد دعا أتباعه إلى الاجتماعات في مناسبات وعبادات عدة كما في صلاة الجمع والجماعات في الصلاة الخمس اليومية، وفي والحج، وفي صلاة العيدين، إضافة إلى ذلك الحث على التجمع ومخالطة الآخرين وعموم المجتمع، فهو ينهى أتباعه عن الوحدة والتفرد في مواطن عديدة وفي الحديث السابق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**) [1]. والنهي عن الوحدة والتفرد يتكرر في السفر وحتى في النوم نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوحدة [2] ففي الحديث الذي يرويه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (**نهى عن الوحدة، أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده**)[3]. وفي الحديث حث قوي وصريح بمشاركة المسلم لغيره من المسلمين وعدم الانفراد عن جماعتهم، حتى في النوم الذي هو

---

(١) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) رسالة في آداب الاختلاط بالناس، الراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الساريسي، دار البشير، عمان، ١٤١٩هـ، ص ٤١.

(٣) المسند، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٠١.

تصرف فطري بحت.

وأشمل من ذلك ما جاء في الحث على أداء الصلاة جماعة و إقامتها في المساجد،التي هي ملتقى المسلمين، وإيجاب حضورها و إقامتها عليهم في المساجد، وعدم عذر أحد منهم في ذلك التخلف إلا لسبب قاهر ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر**)[1].

كما أمر الإسلام ببعض الفضائل التي تؤدي إلى دمج كبار السن مع المجتمع ومن ذلك أن الإسلام أمر ببر الوالدين في مواطن عدة في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ (لقمان: ١٤)، وهناك أمر آخر مصاحب للبر وهو أن هذا البر يؤدي إلى دمج كبار السن في المجتمع المسلم، إذ الغالب الأعم أن الوالدين كبيران في السن، فإلى جانب البر الذي أمر الله به للوالدين نجد هناك دمج اجتماعي طبيعي ودون تكلف لكبار السن في المجتمع.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ،ج ١ ، ص ١٣٦.

وإضافة إلى ذلك البر للوالدين في حياتهما الدنيا فقد فتح الإسلام باب البر بالوالدين حتى بعد وفاتهما، وجعل من أبواب برهما صلة صديقهما بعد وفاتهما، فلقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(من البر أن تصل صديق أبيك)** [1]. وإضافة إلى كونها صلة لصديق الأب فهي إكرام لصديق الوالدين أيضاً، وهذه خصلة زائدة على الصلة، فلقد روى البخاري أن أبا أسيد رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل: يا رسول الله: هل بقي من بر أبوي شيء بعد موتهما ؟ قال: **(نعم، خصال أربع: الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما)** [2].

و بتأمل جوانب هذه الآثار النبوية يتضح لنا كيف تمكن الإسلام من دمج كبار السن في المجتمع، فمما لا شك فيه أن صديق الوالدين في الغالب الأعم كبير السن، فعندما يقوم

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٣٧٩.

(٢) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٣٠، وقال الهيثمي في المجمع: وإسناده حسن، ج ٨، ص ١٤٧.

المسلم بصلة صديق والديه وإكرامه فهو في حقيقة الأمر قام برعاية لمسن في المجتمع، إلى جانب بره بوالديه، وهذه إحدى صور البر الرائعة في المجتمع المسلم، والتي تساعد أفراد المجتمع على القيام بدمج المسن في المجتمع، كما يؤدي ذلك إلى القضاء على العزلة التي قد يمر بها كبير السن أو يشعر بها.

ومن خلال هذا التوجيه الكريم استطاع الإسلام أن يخفف من آثار التغيرات الاجتماعية التي يمر بها الإنسان المسلم في مرحلة الشيخوخة، وليس هذا فحسب بل والتغيرات النفسية الناتجة عن التغيرات الاجتماعية في مرحلة الشيخوخة مثل العزلة والانطواء والاكتئاب، لأن بينهما علاقة تأثيرية متبادلة كما ذُكر.

فحين يزور أفراد المجتمع أصدقاء آبائهم فهذا يعني أن الجيل المتوسط في المجتمع قد ارتبط تلقائياً بجيل كبار السن، وأصبح المسنون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع، وبذلك يتخلص المجتمع من مجتمع الجيل الواحد، ذلك المجتمع الذي لا يعرف التجدد أو الإبداع واستكمال ما بدأه الآخرون.

ولا يمكن أن نغفل في هذا المجال حث الإسلام عامة المسلمين على توقير الكبير، واحترامه، وتنزيله منزلته التي يستحقها بعمره وشيبته، بالإضافة إلى تقديمه في أمور عده في

الحياة اليومية لأشعاره بقيمته وأهميته في حياة المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص، ومن ذلك: السلام والكلام والشرب ... الخ، فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر خادمه أنساً رضي الله عنه صراحة بذلك ففي الحديث أن رسول الله قال صلى الله عليه وسلم: **(يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير)** الحديث [1].

وفي إلقاء السلام على الآخرين هناك حث عام على إفشاء السلام بين المسلمين عامة صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم. ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:**(أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وكونوا أخواناً كما أمركم الله عز وجل)** [2]، وللتأكيد على هذه الفضيلة والحث عليها لما لها من أثرها كبير في حياة المجتمع المسلم، عدّها الرسول صلى الله عليه وسلم من موجبات المغفرة للإنسان المسلم. فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إن موجبات**

(١) مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون، دمشق، بدون تاريخ ، جزء ٧، ص ١٩٧.
(٢) صحيح سنن ابن ماجة، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٢٢.

المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام) [1] كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم: **(أن يسلم الصغير على الكبير)** الحديث [2].

وفي الكلام أمر صلى الله عليه وسلم ألا يتكلم الصغير في أمر دون الكبير، روى رافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر فتفرقا في النخل، فقتل عبد الله بن سهل فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة أبناء مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتكلموا في أمر صاحبهما فبدأ عبد الرحمن بالكلام وكان أصغر القوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(كبر الكُبَر)**. قال يحيى - أحد رواة الحديث - يعني ليلي الكلام الأكبر) [3] ففي الحديث إرشاد صريح وواضح على عدم التقدم على كبير السن في الحديث من قبل من هم أصغر منه سنا، وهذا التقديم لكبار السن في الكلام له أثره في نفس المسنّ ويحقق له شيئا من الإشباع النفسي والاجتماعي والشعور بالأهمية بين الآخرين..

ولقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بتقديم الشرب

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ ، ج ١ ، حديث ٢٢٢٨.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥ ، ص ٢٣٠٢.

(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥ ، ص ٢٢٧٥.

للأكابر ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سقي قال: **(أبدؤا بالكبراء)** أو قال: **(بالأكابر)** [1]، ولقد مارس ذلك صلى الله عليه وسلم عملياً تقول عائشة - رضي الله عنها -: كان يستن وعنده رجلان فأوحى إليه: أن أعط السواك الأكبر [2] وقال ابن بطال: فيه تقديم ذي السن في السواك، ويلحق به الطعام والشراب والمشي والكلام.

وكذلك ما أخرجه البخاري - رحمه الله - عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم)** [3] كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)** [4]، ولاشك أن هذه الخطوات تعمل على رفع معنوية كبير السن، وتجعله يشعر بدوره في هذه الحياة، وبالتالي مواصلة مشاركتهم متى وجد الاحترام والتوقير من الآخرين، ((فالمسن في حاجة إلى أن يكون له دور يملأ به حياته ويمنحه

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٣هـ، ج ٤، ص ٣٨١.

(٢) مختصر أبي داود، المنذري، دار المعرفة، بيروت، جزء ١، ص ٤١.

(٣) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٤) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٠٧.

الإحساس بالقيمة وبحاجة الآخرين إليه وبخاصة أفراد أسرته وأنهم لم يبتعدوا عنه بل هو يشعر بقيمة أكثر كلما أحس أنه في مركز الدائرة التي يحيطه بها أفراد أسرته وأنهم يتحركون حوله... ولا يسعده أن يكون هامشياً فاقد التأثير فهذا الإحساس يسبب الانسحاب والانهيار النفسي)) [1] وسيدفعه إلى اعتزالهم وبالتالي ظهور مظاهر الوحدة والتفرد ومن ذلك الاكتئاب والقلق وهو ما يحاربه الإسلام بشكل كبير، ويعمل بجد لتجنيب أفراده هذه المظاهر المرضية في حياة المسنّ.

جـ: الوسائل العملية لتحقيق التكيف مع المتغيرات العقلية:

من أبرز المظاهر العقلية التي يمر بها الإنسان في مرحلة الشيخوخة، ضعف الذاكرة والنسيان، وبخاصة المعلومات الحديثة، إضافة إلى ظهور خَرفَ الشيخوخة لدى البعض، ويتمثل ذلك في تكرار الحديث مرات ومرات، وعدم التعرف على الأبناء والأقارب، كما تضعف القدرة على الإدراك والتعلم.

كما ذكر سابقاً إن القليل من المسلمين يصلون إلى هذه

---

(١) نافذة على الشيخوخة، مرجع سابق، ص ٧٦.

المرحلة التي هي مرحلة خرف الشيخوخة بسبب انخفاض المستوى العمري للمسلمين بشكل عام وفق حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: (**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**)[1]، فالحديث يحدد بدقة موضوع (توقع الحياة) بالنسبة للمسلمين، وهو من سن الستين إلى سن السبعين والقليل هو الذي يتجاوز ذلك المستوى العمري، ومن هنا فمن يتأثر بالمتغيرات العقلية من المسلمين قليل وقليل جداً.

ورغم هذا فإن هناك بعض الأمور التي تؤدي إلى حفظ قوى المسلم العقلية في مرحلة الشيخوخة ومنها، حفظ حدود الله وعدم تجاوزها وحفظ الجوارح في الصغر عن استخدامها في معصية الله، فقد ذكر ابن رجب عند شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم:(**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة...**) [2]: إن من ((حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف

---

(١) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، جزء ٢، ص٤٢٧.
(٢) المسند، مرجع سابق، جزء ١، ص ٦٢٨.

قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله))[1] وهذا الذي عليه أكثر العلماء.

إضافة إلى ذلك فان هذا التغيرات العقلية التي قد تحدث للمسلم في مرحلة الشيخوخة مرتبطة في درجة تدهورها بالتغيرات الجسمية والبدنية، فكلما قل التدهور الجسمي والصحي لدى كبير السن فإنه يقل التدهور العقلي بجميع التبدلات التبعية له ((وهناك عدد من الدراسات التي قارنت بين مجموعتين من المسنيّن، الأولى تضم أفرادا لا يعانون من أمراض صحية خطيرة ويحافظون على صحة جسمية جيدة، كما لا توجد لديهم مشكلات في التوافق النفسي والاجتماعي، ولا توجد لديهم أعراض نفسية، والمجموعة الثانية أقل في كل هذه المتغيرات الجسمية والنفسية والاجتماعية. تبين أن المجموعة الأولى أظهرت تدهورا عقليا أقل من الثانية طوال فترة الدراسة التتبعية، وعاشوا فترة زمنية أطول[2].

وكما هو معلوم أن المتغيرات الجسمية التي تحدث للمسلم

---

(١) جامع العلوم والحكم، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٦٦.
(٢) الخصائص النفسية والاجتماعية لدى الأشخاص المسنيّن، محمد هويدي، محاضرة غير منشورة، الدورة التدريبية للقيادات الإشرافية العاملة في مجال المسنيّن، البحرين، ١٤١٨هـ، ص١٠.

في مرحلة الشيخوخة رتب لها الإسلام ما يواجهها، ورتب العديد من الأمور التي تقي المسلم بإذن الله من التدهور الجسمي وقد تمّ التفصيل فيها في أثناء الحديث عن وسائل الإسلام التي تحقق التعايش مع التغيرات الجسمية، وفي حالة الأخذ بها والتزامها من قبل المسلم فانه سيتم التخفيف بشكل كبير من درجة التدهور العقلي لدى المسلم في مرحلة الشيخوخة.

ومع كل ذلك سنجد أن الإسلام قد هيئ المسلم منذ صغره لمواجهة هذه المرحلة والتخفف من تبعاتها، وأبرز ذلك الحث على حفظ القرآن الكريم، فحفظه يقي المسلم من خرف الشيخوخة. وهذا ما يقرره كثير من المفسرين وعلماء الأمة، ونذكر هنا بعض أقوالهم بشكل مختصر ويمكن لمن أراد التوسع الرجوع إلى أقوال المفسرين عند تفسيرهم لآيات ردّ الإنسان إلى أرذل العمر، وهي قوله تعالى ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ (النحل، آية ٧٠)، وكذلك قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ**

نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج، آية:٥)، وكذلك قوله تعالى **﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾** (يس، آية: ٥٤)، وكذلك قوله تعالى **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (غافر، آية: ٦٧). وكذلك قوله تعالى **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾** (الروم، آية ٥٤). بالإضافة إلى شرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتعوذ فيه من أشياء عدة بقوله: (**اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر**) [١].

ومن الأقوال في هذا المجال ما نُقل عن عكرمة - يرحمه

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠٣٩. وكذلك فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١١، ص ١٨٣.

الله – أنه قال: من قرأ القرآن – أي حفظه – لم يُرَد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً (١)، وقال طاووس: إن العالم لا يخرف (٢)، كما ذكر السيوطي عن عبد الملك بن عمير أنه قال: كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قُراء القرآن (٣). كما ذكر ابن أبي الدنيا عن الشعبي أنه قال: من قرأ القرآن – أي حفظه – لم يخرف (٤).

وقال الشنقيطي عند تفسير الآيات السابق ذكرها في الرد إلى أرذل العمر: إن العلماء العالمين لا ينالهم هذا الخرف وضياع العلم والعقل من شدة الكبر، لأن المؤمن مهما طال عمره فهو في طاعة وفي ذكر الله، فهو كامل العقل، وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته لا يُصاب بالخرف ولا بالهذيان (٥).

ونقل السيوطي عن عكرمة عند تفسير قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٨.
(٢) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٣، ص ١٧٩.
(٣) الدر المنثور في التفسير المأثور، مرجع سابق، جزء ٥، ص ١٤٦
(٤) كتاب العمر والشيب، مرجع سابق، ص ٧٥.
(٥) أضواء البيان، مرجع سابق، جزء ٩، ص ٣٣٤.

(٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين، آية: ٤-٦) أنه قال: ولا ينزل تلك المنزلة أحد قرأ القرآن - أي حفظه - [1]. ونُقل عن محمد بن كعب القرظي قوله: من قرأ القرآن - أي حفظه - مُتِّع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة [2].

د: الوسائل العملية لتحقيق التكيف مع المتغيرات الاقتصادية:

من المعلوم أنه في مرحلة الشيخوخة عادة ما ينخفض دخل المسنّ وهذا عائد في الغالب إلى إحالته للتقاعد عند بلوغه السن النظامية، وبالتالي يؤدي ذلك إلى عجزه عن تلبية العديد من الحاجيات، وبخاصة إذا اقترن ذلك بتوقع إصابة المسن ببعض الأمراض وما تحتاجه من زيارات للطبيب وشراء الأدوية، فهو يعاني من انخفاض في الدخل مع تزايد في الأعباء المالية في حياته اليومية، إضافة إلى الغلاء المتزايد للأسعار، وضعف القوة الشرائية للنقود عاماً بعد آخر، وفي هذا من التكالب على كبير السن الشيء البين.

(١) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٥٥٨.
(٢) صفة الصفوة مرجع سابق،ج ٢ ، ص ١٣٣.

ولقد أقر الإسلام هذا المتغير الذي يواجهه المسلم في مرحلة الشيخوخة وهو الضعف الاقتصادي، لذا لا غرابة أن نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الفقر ويأمر أمته بالاستعاذة منه ففي الحديث أنه قال: **(استعيذوا بالله من الفقر والعيلة، و من أن تُظلموا أو تَظلموا)** [1]، كما أعطى الإسلام هذه المرحلة قدرها من حيث حاجة المسلم فيها إلى المال الكافي لتامين ما يحتاجه في مرحلة الشيخوخة، فنجد في الحديث الصحيح الذي كان يدعو به الرسول صلى الله عليه وسلم: **(اللهم اجعل أوســع رزقك عــليَّ عند كِبرِ سني وانقطاع عُمُري)** [2].

و لاشك أن تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم مرحلة كبر السن و انقطاع العمر بطلب السعة في الرزق إلا تقديرا لحاجة الإنسان في هذه المرحلة للوفر الاقتصادي وحتى يصون المسلم نفسه عن الحاجة إلى الآخرين أما بصدقة أو زكاة أو غيرها من المساعدات.

---

(١) صحيح الجامع الصغير مرجع سابق، ج١، ص ٣١٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٢٦. وأدرجه الألباني في صحيح الجامع، جزء ١، ص ٣٩٦.

ولمواجهة هذه التغيرات من الناحية العملية دلنا الإسلام إلى بعض الأعمال الصالحة التي تساعد على مواجهة هذه التغيرات الاقتصادية في مرحلة الشيخوخة وهذه الأعمال تؤدي إلى الدعم المادي في الحياة العامة وفي مرحلة الشيخوخة بخاصة، فمن ذلك:تقوى الله بشكل عام فهي مفتاح لكل خير وسعة في الرزق من حيث لا يحتسب الإنسان قال تعالى: ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِّ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَّ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ (الطلاق، آية ٢-٣). فالآية عامة في جلب الرزق للإنسان المسلم من غير أن يحتسب كما ذكر ذلك المفسرون، وليس معنى هذا أن المسلم يبقى في بطالة بحجة أن التقوى مجلبة للرزق دونما جهد أو عمل بدني من الإنسان، بل هو عمل وتوكل، فمن التقوى أن يعمل الإنسان ليكف عن نفسه مذلة سؤال الآخرين، والعيش على صدقاتهم وزكواتهم، ومن ثمّ يأتي الرزق من الله عز وجل من أوجه لم يحسب لها الإنسان حساب ولم تكن في خاطره.

وكما أن التقوى سبب في الرزق فإن المعاصي التي قد يرتكبها المسلم في حياته اليومية قد تكون سبباً في الحرمان من الرزق فعن ثوبان رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها**)[1]، وكما أن المعاصي سبب في الحرمان من الرزق فان الحسنات التي يعملها الإنسان في الدنيا مجلبة للرزق، فيروي الإمام مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الكافر إذا عمل حسنة أطعمه بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر حسناته في الاخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته**) [2].

ومن الأعمال التي دلنا عليها الإسلام للتوسعة في الرزق المتابعة بين الحج والعمرة ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد**)[3]. فالمسلم حين يتابع بين الحج والعمرة في شبابه وأيام قوته سيجد ثمرة ذلك كله

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة، مرجع سابق، ج ١، ص٢٢.
(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٨٧.
(٣) المسند، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٣. وأدرجه الألباني في صحيح الجامع، ج٣، ص ٣٠.

حال عجزه وتقدمه في العمر بالرزق الواسع الذي وعده الله به. وقد يرد هنا إشكال وهو أن تكرار الحج والعمرة من قبل المسلم، فيه مزيد من الصرف المالي الذي تُحمله ميزانية المسلم، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على أن النفقة في الحج والعمرة مخلوفة في الدنيا قبل الآخرة ففي الحديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**الحاجّ والعُمّارّ وفد الله تعالى، يعطيهم ما سألوا. ويستجيب لهم فيما دعوا. ويخلف لهم ما أنفقوا**)[1]. وهذه الخُلف في النفقة في الحياة الدنيا

ومن الأعمال الفاضلة التي تعين المسلم اقتصادياً وتعمل على زيادة ماله، صلة الرحم ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من سره أن يُعظم الله رزقه، وأن يمدّ في عمره فليصل رحمه**) [2]، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب، وإن أعجل البر ثواباً لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونوا فقراء فتنموا**

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٢، ص ٩٦٦.
(٢) المسند، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣١٢. وأدرجه الألباني في صحيح الجامع، ج٥، ص ٣٠١.

أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا) [1].

وهذا التواصل بين الأرحام مع ما فيه من برّ ونتيجة متحققة تتمثل في زيادة الرزق فان فيه تحقيق للتواصل الاجتماعي بين الصغار في المجتمع وكبار السن ولهذا دور كبير في مواجهة بعض التغيرات النفسية فالآثار متعددة ولا تقتصر على متغير دون آخر بل الكل يؤثر في الكل كما ذكر في البداية. لأجل ذلك ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحـم محبة في الأهـــل، مثراة في المـــال، منسأة في الأثر)** [2]. وهذه الأفعال التي دلنا عليها الإسلام لزيادة الرزق والتوسعة فيه ينبغي أن يعمل لها الإنسان في مرحلة مبكرة من عمره، ليضمن بها سعة الرزق في مرحلة الشيخوخة.

ورغم هذا فإن الإسلام قد رتب لكبير السن المسلم ما يكفل له السعة في الرزق عند كبره، ومن ذلك أن جعل للأب المسلم حرية التصرف في مال أبنائه، فالابن وما يملكه الابن

---

(١) مجمع الزوائد، مرجع سابق، ج ٨، ص ١٥١ وأدرجه الألباني في السلسلة الصحيحة،ج٢، ص٦٢٣.

(٢) المسند، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣١٠. وأدرجه الألباني في صحيح الجامع، ج٣، ص ٤٥.

يعد ملكا للأب أخذاً من الحديث الذي يرويه ابن ماجة في السنن قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أبي اجتاح مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أنت ومالك لأبيك**)، وقال كذلك: (**إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من أموالهم**) [1]، قال الترمذي: (والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وقالوا: إن يد الوالد مبسوطة في مال ولده يأخذ ما يشاء، وقال بعضهم: لا يأخذ من ماله إلا عند الحاجة إليه) [2].

لذا لا عجب أن نجد الوصايا العديدة تتوالى من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحث على تكثير الرجل لنسله فهم ذخر له في الدنيا والآخرة، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**)[3] ومن المعلوم أن المسلم سوف يتعب في رعايتهم وتربيتهم في صغرهم إلا أن سيحصد ثمرة كل ذلك في كبره وعند شيخوخته، وستتمثل ثمرتهم تلك مادياً ومعنوياً في الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٣٠.
(٢) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٦، ص ١١٠.
(٣) سنن أبى داود ، مرجع سابق، جزء ١، ص ٤٧٠.

أبيض

خامساً: كيفية تفعيل الوسائل العملية للتكيف مع تغيرات مرحلة الشيخوخة

حتى تؤتي هذه الوسائل أثرها الفعال لابد من وجود آلية مناسبة لتنفيذها في المجتمع، وسيتم طرح عدد من المقترحات التي قد تساعد على تبنيها من قبل أفراد المجتمع ومؤسساته الاجتماعية والتربوية ونظرا لحداثة طرح مثل هذه الموضوعات فقد تبدو الوسائل غير واضحة المعالم والسبل، إلا أن تكرار الحديث فيها وإثراءها بالمناقشة سيعمل على بلورتها بشكل أكثر وضوحاً لعامة الناس، ومن هذه المقترحات:

- التوسع في نشر مبدأ الاستعداد لمرحلة الشيخوخة التي قد يصلها بعض المسلمين، وينبغي أن تكون طروحات هذا الاستعداد متنوعة وشاملة فهناك الاستعداد: الاجتماعي، والنفسي، والصحي، والاقتصادي. فلا يركز فيه فقط على الجانب الاقتصادي كما هو قائم الآن مسايرة للتوجه العالمي وتجاهل خصوصية المجتمعات التي يتم طرح هذه القضية المجتمعية بين أفراده. ومع نشر مبدأ الاستعداد لمرحلة الشيخوخة يحسُن طرح الآليات والخطوات العملية التي تعين على تنفيذ الاستعدادات بشكل سليم ومن ذلك الجانب الشرعي في الحياة.

- ضرورة استفادة الدارسين، والباحثين،والمنظرين وكذلك العاملين مع فئة كبار السن في المجتمع المسلم من خاصية مهمة في المجتمع المسلم، وهي تمسك المجتمع بعقيدته الإسلامية السمحة، وذلك بطرح مثل هذه الأفكار الاستعدادية لمرحة الشيخوخة من الجانب الشرعي، وتوضيح الخطوات العملية التي ينبغي للمسلم القيام بها لتعينه على التعايش مع مرحلة الشيخوخة إذا وصل إليها، وتحقيق التكيف السليم والسوي فيها بجميع أنواع التكيف: الاجتماعي، والنفسي، والاقتصادي، والصحي.
- تضمين الطرح العلمي والعملي عن حاجات كبار السن في الندوات والدراسات العلمية، الحاجات الدينية والروحية لكبير السن وعدم تجاهلها في قائمة احتياجاته الأخرى، وبخاصة عند الحديث عن المسنيّن في المجتمع الخليجي، ووضعها جنبا إلى جنب مع الحاجات الأخرى كالحاجات الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية، والصحية، مع طرح الآليات والخطوات العملية لكيفية إشباع هذه الاحتياجات الروحية، والاستفادة من العلماء الشرعيين المتخصصين في هذا المجال لتوضيح كيفية تحقيق إشباع هذه الاحتياجات.
- إيلاء جانب الاحتياجات المتنوعة لكبار السن، بما فيها الاحتياجات الشرعية حقها من الاهتمام حين وضع خطط

التنمية الاجتماعية.

- تضمين المناهج التعليمية موضوع توقير كبار السن، واحترامهم، وتقديرهم، وتقديمهم في أمور الحياة، مع توضيح موقف الإسلام من مرحلة الشيخوخة وكيفية الاستعداد لها من جميع الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية، والصحية، والشرعية، بحيث تتضمن تلك المناهج توجيها غير مباشر لصغار السن عن أهمية وجود فئة كبار السن في المجتمع،وأن المجتمع إنما يرزق ويحفظ بضعفائه الذين منهم المسنون، مع التركيز على مبادئ مهمة في هذا المجال، هي: إن جزاء الإحسان الإحسان - كما تدين تدان - بروا آباءكم تبركم أبناؤكم).

- إبراز موقف الإسلام من مرحلة الشيخوخة عبر وسائل الإعلام، وما يحدث في هذه المرحلة من تغيرات متنوعة، والخطوات التي وضعها الإسلام لمواجهة مرحلة الشيخوخة وكيفية التعايش معها، وكيفية التكيف السليم وتحقيقه فيها، بحيث تكون هذه الخطوات والوسائل العملية متاحة ومعروفة لمن أراد أن يستفد منها ويتبناها أو يعمل بها، ليجد أثرها في مستقبل حياته.

- ربط أفراد المجتمع بقيم الإسلام، وإعادة الحيوية والقوة لهذه القيم كما كانت في العصور الإسلامية الزاهرة، مع

تواصل الحث الجاد على ضرورة التمسك بتعاليمه وقواعده، لما في ذلك التمسك والانقياد للتعاليم الإسلامية من ثمرة إيجابية مستقبلية في حياة الإنسان وبخاصة في مرحلة الشيخوخة، والتركيز على مضمون الحديث الشريف الذي ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله: (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**)، وأن في الإسلام قاعدة مهمة وهي: إن جزاء الإحسان الإحسان.

- تعزيز القيم الإسلامية في المجتمع، والاستفادة من حرص أفراد المجتمع على الخير، وبخاصة ما كان متعلق بالبر بالوالدين في حياتهما وبعد وفاتهما، وصلة الأرحام وخطورة القطيعة بين الأقارب، وأهمية التزاور الأسري المتبادل بين أفراد المجتمع. وبثها في رسائل إعلامية موجهة عبر قنوات الاتصال المختلفة، فمن الملاحظ أن معظم المتغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة سيحتاج المسنّ فيها إلى أبنائه، و أقاربه، وأفراد أسرته لمواجهتها.
- إعادة الدور الاجتماعي للمسجد، بحيث يكون ملتقىً توجيهياً واجتماعياً لجميع أفراد المسلمين بمختلف مستوياتهم العمرية، فمع ما في ذلك من كسر لعزلة كبار السن في المجتمع، فإن فيه تحقيق للالتقاء بين الجيل المتوسط

من المجتمع مع أفراد الجيل الكبير منه (المسنّين). والاستفادة من خطب الجمعة لبث هذا الوعي الاجتماعي في قضية كبر السن وكيفية الاستعداد المبكر لها من جميع أفراد المسلمين، بحيث تكون محطة تكريم حقيقي لكبار السن.

- الحث على استغلال المسلم لوقت شبابه وما يتمتع به من قوة في مرحلة الشباب بما يخدم ضعفه وعجزه في مرحلة شيخوخته إذا قدر الله ووصل إليها فمن الملاحظ أن الخطوات التي جعلها الإسلام لمواجهة مرحلة الشيخوخة تنقسم إلى قسمين أحدها يتم في مرحلة الشيخوخة نفسها، والغالب منها يكون القيام به من قبل المسلم في مرحلة مبكرة من عمره.

والله الموفق..

المراجـــع

(١) الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين، علي فؤاد، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) اثر الصلاة على كفاءة الدورة الدموية بالدماغ، عبد الله محمد نصرت، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، www.noor.org .

(٣) أثر العبادات في تقوية الصلات الاجتماعية في المجتمع المسلم، مشبب بن عوض الأحمري، مطابع الجمعة، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٤) الآداب الشرعية، ابن مفلح الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٥) الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٦) إرشاد ذوي العرفان من الزيادة والنقصان، مرعي المقدسي الكرمي الحنبلي، تحقيق: مشهور حسن محمود سليمان، دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٧) اضطرابات الشيخوخة وعلاجها، عبد الرحمن عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ.

(٨) أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٩) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ابن

عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م/ ١٤٠١هـ.
(١٠) تأملات في الألوان والغرائز والشيخوخة، جمال محمد سعيد، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ١٩٩٨م/ ١٤١٩هـ.
(١١) التأمينات الاجتماعية ودورها في رعاية المسنين في دول مجلس التعاون الخليجي، عيسى الخليفة، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ١٩٩٢م/ ١٤١٢هـ.
(١٢) التربية والشيخوخة، دراسة للأبعاد التربوية لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، حسن إبراهيم عبد العال، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، العدد ٤٨، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(١٣) التغيرات البيولوجية للمسن، فيصل الناصر، محاضرة غير منشورة،الدورة التدريبية للقيادات الإشرافية والتخطيطية العاملة في مجال المسنّين، البحرين، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
(١٤) تفسير القران العظيم، إسماعيل بن كثير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، بدون تاريخ.
(١٥) تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٦م، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٦هـ.
(١٦) تقرير الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة مدريد، ٨-١٢ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢، الأمم المتحدة، نيويورك، بدون تاريخ.
(١٧) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل،

محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عقيل المقطري، مكتبة دار القدس، صنعاء، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
(١٨) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ابن الجوزي، تحقيق: عرفه حلمي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م/ ١٤١٢هـ.
(١٩) التوافق عند المسنيّن، هالة العمران، في: (رعاية المسنيّن في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ١٩٩٢م/ ١٤١٢هـ.
(٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
(٢١) التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.
(٢٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.
(٢٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
(٢٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
(٢٥) الخصائص النفسية والاجتماعية لدى الأشخاص المسنين، محمد هويدي، محاضرة غير منشورة، الدورة التدريبية للقيادات الإشرافية والتخطيطية العاملة في مجال المسنيّن، البحرين،

١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
(٢٦) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
(٢٧) دراسات في علم اجتماع الشيخوخة، عبد العزيز بن علي الغريب، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
(٢٨) رسالة في آداب الاختلاط بالناس، الراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الساريسي، دار البشير، عمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
(٢٩) رعاية المسنّين اجتماعياً، محمد فهمي، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.
(٣٠) رعاية المسنّين في الإسلام، عبد الله بن ناصر السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
(٣١) رياض الصالحين، النووي، تحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق، دار الوراق، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
(٣٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
(٣٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
(٣٤) سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(٣٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد عرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(٣٦) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار أولي النهي، بيروت،

١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(٣٧) الشيخوخة، عزت إسماعيل، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
(٣٨) الشيخوخة، فادي غندور، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.
(٣٩) صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار القلم، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
(٤٠) صحيح الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
(٤١) صحيح سنن ابن ماجة، الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
(٤٢) صحيح مسلم بشرح النووي، دار الخير، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(٤٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
(٤٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق علي الطنطاوي،دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
(٤٥) الطب الحديث يكشف النقاب عن علاقة الصلاة في الصغر والآم الظهر في الكبر، محمد وليد الشعراني، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، www.noor.org.
(٤٦) طب الشيخوخة والمريض المسنّ، ستيفن وشرودر، ترجمة ماجد العطار، دار القلم العربي، سوريا، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٤٧) عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
(٤٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ.
(٤٩) فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
(٥٠) كتاب العمر والشيب، ابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم خلف،مكتبة الرشد، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.
(٥١) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
(٥٢) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
(٥٣) المبادئ الاجتماعية في الإسلام، محمد رجاء عبد المتجلي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، العدد ٨٤، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
(٥٤) المتقاعدون، إبراهيم بن محمّد العبيدي، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠.
(٥٥) المتقاعدون: بعض مشكلاتهم ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، عبد العزيز الغريب، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
(٥٦) مجلة الفيصل، الرياض، عدد ٢٤٣، رمضان ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
(٥٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
(٥٨) مختصر سنن أبي داود، الحافظ المنذري، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد

الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
(٥٩) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
(٦٠) المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق عبد الله الدويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
(٦١) معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين، توفيق علوان، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، www.noor.org.
(٦٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
(٦٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار نجد للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢.
(٦٤) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.
(٦٥) موطأ الإمام مالك، إعداد أحمد عرموش، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
(٦٦) نافذة على الشيخوخة، أسامة عريقات، دار الثقافة، الدوحة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
(٦٧) نور الشيب وحكم تغييره، سعيد بن علي القحطاني، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
(٦٨) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

(٦٩) صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
(٧٠) مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون، دمشق، بدون تاريخ.
(٧١) كتاب المعمرين من العرب، أبي حاتم السجستاني، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار الطلائع، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
(٧٢) المعمرون، محمّد أبي اليسر عابدين، دار ابن عابدين، دمشق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
(٧٣) التخطيط الاجتماعي لرصد وتلبية احتياجات كبار السن: مبادئ وموجهات، يحي الحداد، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج، البحرين، ١٩٩٩م/ ١٤١٩هـ.
(٧٤) بعض الخصائص الاجتماعية والنفسية للمسنين: دراسة في كتاب (المعمرين) لأبي حاتم السجستاني، عبد الرزاق بن حمود الزهراني، في (ندوة الرعاية الشاملة للمسنين: الواقع والمأمول) وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

نبـذة عن المؤلـف

د. عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان

- دكتوراة الفلسفة في علم الاجتماع تخصص علم الاجتماع التربوي.
- عضو مجلس إدارة الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.
- عضو الأسرة الوطنية للعلوم الاجتماعية في وزارة التربية والتعليم.
- عضو الأسرة الوطنية للتوجيه والإرشاد في وزارة التربية والتعليم.
- محاضر غير متفرغ في عدد من المعاهد والمراكز التدريبية في المملكة العربية السعودية.
- رئيس فريق ضياغة صندوق معالجة الفقر في المملكة (الصندوق الخيري للخدمات الإنسانية.؟
- عضو فريق الإستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر في المملكة العربية السعودية.
- حاصل على جائزة الأمير محمد بن فهد آل سعود في مجال الدراسات والأبحاث للعالم ١٤٢٤هـ .
- نشر أكثر من ثلاثين بحثاً علمياً في مجالات علمية ومراكز بحثية ومؤتمرات دولية داخل المملكة وخارجها.
- طباعة أكثر من خمسة عشر كتاب في التخصص.
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الخاصة بالمسنين محلياً وعالمياً.
- محكم معتمد قي عدد من المجلات العلمية والمراكز البحثية.
- المشرف على إصدار الإرشاد الأسري: صدر منها ثلاثة أجزاء.
- الكتابة في عدد من الصحف والمجلات المحلية والخارجية.

للتواصل : E-mail: ansadhan@gmail.com

الفهرس